رجل لكل زمان
الدكتور إبراهيم عوض

بتوقيع
فتحية إبراهيم صرصور

القاهرة
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

الدكتور إبراهيم عوض وأنا

الطبعة الأولى: ٢٠٢٥

إهــــداء

إلى الأوفياء،،،

زهرة الحياة وصفوة الأصدقاء

أنتم الموفون بعهدهم

فتحية إبراهيم صرصور

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل البدء

خُلق الإنسان اجتماعي بطبعه، يميل للانخراط بالمجتمعات والأشخاص، إلا أننا نجد البعض يرى في البُعد عن الآخرين مغنما، فيحبذ تجنبهم وعدم الاختلاط بهم إلا في حدود المعاملات الضرورية من بيع وشراء وزملاء عمل

أما أنا فممن لا يهنأ له عيش إلا مع الآخرين وبهم، بل قد أكون ممن يبالغ في التأثر بأهات الآخرين، فأحيا معاناتهم، وأسعد بهناءاتهم، وأسعى لمشاركتهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا

في شهادتي المدرسية للصف الثالث الابتدائي، مهرت معلمتي ملاحظاتها فكتبت "**فتحية ذكية، نشيطة، ودودة وتحب مساعدة الاخرين**"
فكانت من أوائل مَنْ قرأ شخصيتي منذ الصغر

أما في العام ١٩٧٨م وبينما كنت ألملم أوراقي لأُيمم وجهي شطر بلدي وقد أنهيت دراستي الجامعية، بعد أن حصلت على الإجازة العالية الليسانس في الدراسات الإسلامية والعربية، من كلية البنات الإسلامية – الأزهر، يومها فكرت باقتناء دفتر ذكريات تكتب به زميلاتي كلمات تظل للذكرى، أعود إليها كلما شعرت بالحنين لتلك الأيام، - كنت لا أزال أحتفظ بهذا الدفتر إلى يوم غادرت بيتي في الرابع عشر من أكتوبر ٢٠٢٣م بفعل الحرب الشعواء التي أخرجتنا من بيوتنا بلا شيء-

كان قسم الدراسات الإسلامية والعربية يضم نحو مائة وخمسين طالبة من شتى الدول العربية والأسيوية، وكانت علاقتي بالجميع ممتازة

كتبت لي الصديقات بعدد صفحات الدفتر، كما كتب لي بعض أساتذتي ومنهم أستاذ التفسير وعلوم القرآن الدكتور محمد بن عبد المنعم خريبة، وكان مما خطه في كراسة ذكرياتي:

"إن أعظم قيم الوجود هي الوفاء، وقد وجدتها متمثلة في طالبتي الوفية فتحية، وإن كلماتي لتعجز عن الوفاء بحقها، فإلى الله أضرع أن يجزيها جزاء عرفانها ووفائها

وأن يحقق لنا ما نرجوه لك من عز وخير وسعادة ونجاح"

ما بين الابتدائية والجامعية وما بعدها بقيت على ما فُطرت عليه، وظل هذا ديدني، لذا تجدني كمن يجذب بمغناطيس لمن يتحلى بالوفاء
جعلت كتابي في نوافذ ثمانية بعدد أبواب الجنة علها تكون مشرعة لنا
**

النافذة الأولى: حرب وصراع نفس

كم كانت مبهرة وقد أزهرت مدينتي، فانتشر عبق عطرها مختلطا بشذا نسمات تلامس أرواح مَنْ يعشقونها، تنعش نفوسهم، وتُطَبب قلوبهم، وحدهم يدركون كُنهها، فلا يعرفون للفرح طعما إلا في كنفها، وهم يتفيئون ظلال أشجارها، وينتشون بنسيم بحرها
كم كانت مزهوة بمحبتهم لها، تتحدى أترابها، بجمال متضادات، ما كان لها أن تجتمع في غيرها، مزيج من صفات تؤهلها للفوز بلقب ملكة، فتتربع على عرش جمال المدن في موسوعة البطولة العالمية
بحب وعطاء تدير دفة حياتها، وبخشوع ناسكة تحوقل على أبنائها، شامخة بكبريائها، قوية بثورانها، حانية برقتها وصلابتها، يُجملها فخر وزهو، مكللا بتواضع وبهاء

إنها المتمردة على قوانين السلب والقهر، فتُجبَر العواصف لتنحني أمام جلالها، فيما تمتلئ شغفا وشوقا لكل من مر بها، يستقي منها ولاء وصدقا ووفاء، تربعت على عرش أفئدة كلّ من عرفها من غريب وجار وقريب فلم تنسه، ولم ينسها

أما الأعداء، فكم من الغزاة والغاصبين مروا عليها، كانت تلفظهم كما يلفظ البحر الجيف، وتخرج في كل مرة من بين الرماد كما العنقاء فتزداد ألقا وقوة وصفاء

لكن،، على حين غرة، وفيما هم في نشوة العيش الآمن، وطمأنينة النفس الزكية، انقلبت الموازين، اختلط سواد الليل بغبار النهار، خُسفت الأرض، منذرة بعظيم شؤم آت،

ففي تشرين خريفي مارت السماء مورا، واستفاق أهل المدينة على أمر جلل، كأنهم في مدينة الغضب، لكن- هذه المرة - ليس جبريل من خسف المدينة وجعل عاليها سافلها، بل جاءهم من المغضوب عليهم، رجال قُساة بقلوب غلاظ، وضمائر ميتة، شرعوا في صناعة مأساة لشعب آمن، وخراب لمدينة الجمال، فدُمر بنيانها، وصُبغت لياليها بحمرة غير مبهجة، حمرة الدم والنار بفعل براميل الموت التي تتساقط عليهم من كل حدب وصوب، جوا وبرا وبحرا

**

تغوص في أعماقها، تنظر بعين قلبها لماض قريب كان يُسعدها، لقد كانت ساعات لياليها وأيامها مزهرة بالعمل، مفعمة بالنشاط، لا يزعجها طول نهار صاخب، ولا ظلمة ليل بهيم، تتمنى لو زادت ساعات اليوم عن الأربع والعشرين، فتكفي لإفراغ ما يملأ نفسها من أفكار وجميل أحلام، وطباعة كُتب تُقرأ على الدوام

أمضت أعوامها بنفس راضية، ولمدينتها عاشقة، لا تخرج منها إلا وتعود حاملة بين أضلعها شوق سني عمرها فتُقبّل أديمها الطاهر، لكن،،

لكن ماذا بعد ذاك الطوفان وقد أُغرقت أرضها؟ وعُكر صفو سمائها؟ وقد نُزعت الطمأنينة من أركانها، من سيغرق ومن سيصعد لسفينة النجاة من أهلها؟

بتنهيدة زفرت معها روحها تنسحق لأعماقها، باحثة عن حل للغز ذاك اليوم، هل كان نهاية لمطافها، أم أن تاليه بداية لنهاياتها؟

تبدلت الحال، صُعق من في الأرض المباركة جميعا، وجدوا أنفسهم مُرغمين على ترك بيوتهم وملاذاتهم الآمنة، كيف يفعلون ذلك وهم من عاهدوا العبد والرب على الرباط بها؟

لكن بسطوة وجبروت الجلاد يُنفذون الأمر، وكما تخرج الروح من الجسد نَفَسًا نَفَسا، أُخرجوا لحيث أوهمتهم القوة الضاغطة بأنه سيكون ملاذ آمنا لهم، وكما يتجرع الآيس السُّم بدأوا تجرع وجبات التشريد والنزوح الثقيل

على النفس، المُنهِك للجسد، فكان لكل منهم نصيبه الخاص، فمنهم من خاض غمار ثمانية نزوحات قاسية، ومنهم من خاض أكثر من ذلك أو أقل، يخرجون متثاقلين؛ قلوبهم تحتضن مدينتهم، يسيرون في دروب غير دروبها، دروب حائرة كحيرتهم، تنكرهم وينكروها، لا تألفهم ولا يألفونها، فهم العابرون في طريق عابر، لا يعرفون لإقامتهم فيها وقتا ولا شكلا، وبين كرّ وفرّ أُخرجوا من الشمال للوسطى للجنوب لجنوب الجنوب، ثم النكوص للوسطى

دوما يكون الخروج تحت القصف الشديد، فيتركون كل ما يمتلكون من مال ومتاع وزاد، وما ابتاعوه من المحطات السابقة ليستروا أجسادهم في حلهم قبل الترحال، لقد غادرها البعض حافي القدمين

هنا لم يقتصر الفقد على أشخاص ومواضع، ولا مجوهرات وثروات، في قيامتنا فقدنا كل شيء؛ فقدنا الشعور بالراحة والسعادة، فقدنا ذكرى لحظات صمت جميلة عشناها بمفردنا مع ظلنا في بيت ننعم به بأمن وسكينة، أصبحنا والفقد متلازمين؛ ففقدت الكثير الكثير؛ فقدت مقتنياتي، بيتي وأثاثي، مكتبتي ومؤلفاتي، دروعي والكئوس، افتقدت كل مكان لجأت إليه، وكل جديد أصبح ملك يدي، وكم مرة أفتقد أحبابي المبعثرين في أصقاع القطاع، وكم فقدت أعصابي أمام مشاهد القتل والتعذيب والدمار؟

ضاعت أموالنا وأمتعتنا، اختفى الأمن والأمان، وسُلب منا الأمل في العثور على مكان آمن، لقد ضللتنا الاسطوانة العسكرية، ومن يقف خلفها، وهي تفرض علينا ترك المكان، فلم يمض سوى أيام قليلة حتى بدأ القصف والعنف في مكان ادعوا أنه آمن، كان الموت يلوح لنا عشرات المرات في الليل والنهار، من يخرج ليس أمنا، ومن يلتزم مكانه ليس أمنا

انفرط عقد الحياة الوادعة الجميلة؛ نَثرتنا الحياة كما يُنثر الحب على رءوس الشامخات، انتشرنا في أصقاع القطاع، خُلع عنا رداء العائلة، تباعدت وجوه الأصدقاء، وقد أعاد القصف ترتيب ملامحها، كلٌّ منا اتجه صوب طريق، عله يلامس به نبض حياة بعد أن أُلقينا في أتون المجهول، عله يكون لطيفًا وأكثر رأفة بنا.

بات جُلّ همنا البحث عن الدفء والأمان، تشتت الشمل، وتوزعت كل مجموعة بحثاً عن الأمان في مكان آخر، بعضهم لجأ لأقاربهم، والبعض عند أصدقاءهم، وبعضهم استُضيفوا لدى عائلات لا تعرفهم، -اللهم إلا أخوة الوطن والدين -، ومن لم يجدوا شيئا من ذلك؛ افترشوا الرمال الساخنة، والتحفوا بالشمس الحارقة، في خيام هي العراء والخواء، لا تقي بردا ولا تحمي من شمس، ولا يجدون بها جدارا يسندون إليه ظهورهم، لم يُتح لهم الحصى والتراب وسائد مُريحة يُلقون رؤوسهم عليها فيبثونها أوجاعهم، الجوع والرصاص أداتان لقتلهم، فلم يعد في قاموسهم مفردة الاشتهاء، انفرط

عقد الأهل والصحب كلٌّ اتجه لوجهة لا يعرف كنهها، باتت العيون ذابلة والقلوب ذائبة، رفيقهم العذاب وثِقَل الأيام، والمدينة لا تُطأطئ رأسها ولم تنحن إلا لخالقها، أسودها لا ينامون على ضيم

رغم وداعة الشعب أسقطت عليهم الطائرات كسف صواريخها، وأخرجت لهم الأرض أثقال حملها، تجرعوا شعور يأس تطارده الأمنيات بعودة لمرابعهم، هم لا يطمعون بكنوز قارون ولم يخرقوا الجبال، فأسمى أمانيهم أن يعودوا لبيوتهم يضعون رؤوسهم على وسائدهم فيسافروا لنومة هادئة، أن يتدثروا برداء دفء العائلة، أن يجدوا وسيلة للتواصل فيطمئن الآب عن ابنته والأخ عن أخته

لو حاولت الولوج لثنايا أرواحهم، لانثال الحديث من عيونهم قبل أفواههم، ولاستمعت منهم لمشاهد الموت المعاش، بعد أن باتوا كعصافير - مقيدة في أقفاصها - تبحث عن الحب، إنهم جائعين لطعام، ناشدين للأمن والأمان، باتوا جميعا يفتقرون للصحة، يبحثون عن لمسة من الجمال في عيون متعبة وقلوب أنهكها العذاب

**

أشهر ثقيلة انقضت على ذاك اليوم؛ يوم فتحت به جهنم العدو سعيرها، وفي أماكن نزوحها الكثيرة، ظلت ساعات يومها ونهارها مليئة؛ لكن بخوف وقلق لا بالعمل، تَعُد أنفاسها المتلاحقة، ودقات فؤادها المتلعثمة، تُحصي أعداد الشهداء المتزايدة، وفئاتهم المختلفة، ومن ساقه حتفه ليُدرج ببنك

أهداف مفتوح، فقصف الجميع لدى العدو مسموح؛ أطباء ومسعفين، أساتذة وأكاديميين، كُتّاب وباحثين، إعلاميين وصرافين، فتضع نفسها على قائمة الانتظار، ولسان حالها يقول:

عيون العدو ترمقني، سهامهم بالغدر ترشقني
أغافيها فتتبعني، كأن اسمي منقوشا بقمرتها،
كأن رسمي مطبوعا بعدستها
أبلغوهم أنني بسلام أحيا، والرضا طبعي الأسمى،
فلماذا وماذا فعلت لكل هذا؟
ما قتلت منهم ألفا ولا زاد العَدُ عشرا!
وما سرقت أرضا، ولا كسرت قوافي الشعرا

*

يا هذا،، لماذا كل هذا؟
ويأتي من أعماقي استفسار، تلو استفسار،
قد يكون أحدهما بوابة لجواب وقرار
ماذا يضير إن كُنتُ كاتبة، وكُنتُ أحيا على الأملا؟
وإن كتبت قصصا للاطفال تغرس فيهم خُلقا وقِيما؟
وإن حفظت تراثا كي لا يكون للعدو مشاعا نهبا؟
أو كتبت لوطن عزيز أغان لحنتها على نغم ووترا؟

*

فأُهدء نفسي بفصل القول،،
أتبعتموني أم لا تتبعوني كلّه رهن العمرا
أسلمت وسلمت قيادي لرب القدرا
لن تموت نفس إلا لو حان الأجلا،
لازلت أسير برفق لا أؤذي أحدا
قل لمن خذلنا فتحية برفق مرت من هنا،
ولم تؤذي يوما أحد،
أما أنتم لحصب جهنم،ستكونون لها وتدا
*

لكن
يظل القلق رفيقها، وضمير بإبَرِه يوخزها،
ما ذنب من أقيم معهم سوى أنهم أهل ورحما
**

القلوب غادرها الفرح، لم تعد تشعر بطمأنينة النفس التي كانت تحياها، ولا برضاها عن أعمال كثيرة كانت في مجالات شتى تؤديها، فما كانت تفتر يوما أو تتوقف، فيأتي رمضان ونحن على أسوأ حال، فتفيض الروح ألما وحسرة، وقد حُرمت **الأجر في أيام العشر**

فأعود بذاكرتي لسنوات كثيرة خضت بها غمار العمل الإنساني على مدار العام، وتزداد في رمضان، كانت أيام مباركة؛ الخير فيها وفير، والأجر

عظيم، كنا إلى جانب العبادات والطاعات، نسعى لمزيد أجر، دوما في سباق للعمل الصالح، نشارك في العمل الطوعي.. خاصة في العشر الأخيرة أو قبل دخولها .. فمن توزيع الزكاة والصدقات، لزيارة دور العجزة والأيتام والمحتاجين

في هذه العشر من كل عام كان هاتفي لا يتوقف عن الاتصال، سواء ممن يطلبون المساعدة، أم ممن يرشدونني لعائلات هم بحاجة للمساعدة، كنا فريق يعمل بعشق لفعل الخير، وشوق لرؤية البسمة على وجه من كان ينتظر أن يسوق له المولى رزقا، فالحمد لله أن كنا الوسيلة التي اختارها المولى على مدار أعوام كثيرة لمساعدة هذه الفئة، الغنية بعزة النفس فلا يسألون الناس الحافا

الان يتصل البعض منهم ليقول لي نفتقدك ونحن في أمس الحاجة للمساعدة، كل من اتصل أعرب عن حزنه لعدم رؤيتي في هذه الأيام، لكنهم لا يعلمون أن حزني أكبر، هم حُرموا من دراهم معدودة، وأنا حُرمت من أجر كنت أنتظره، وخطوات كنت أعشق سيرها لبيوت أُدرك أن الله موجودا فيها

في هذا العام؟ أصبح الغني فقيرا، تقطعت السبل بالجميع، وخسرت وفريقي أجرا نحن بأمس الحاجة اليه، فاللهم عوضنا جبرك وعفوك

**

حتى الكتابة عشقها اليومي جفتها، ولم يعد بينهما طيب خاطر، باتت تتهرب من أفكار تُلح من ذاكرتها الملتهبة، وكلمات تتوسل لتفسح لها التعبير عن مشاعرها الصاخبة

لردهة غير قليلة من الزمان تنكرت لها، لم تعد تألفها، تصغي لضجيج القصف وصوت الدمار، تخفي اصطكاك أسنانها خلفه، فيختفي صرير القلم على الورق

طالت أيام العذاب، زادت قوة الانفجار في داخلها، فتفزع من ضياعها، تستجمع قوتها للضغط على الحرف، تنفث به همومها وآهاتها، بدأت تكتب فيما كان في غابر الأيام وما يجري الآن، اليوم لن تروي حكايات الليل والنجوم، بل ستوثق فعل باغٍ ظلوم، ستسرد حكايات اللا معقول الذي تعايشه، وتخاذل عالم لا تؤانسه، يتلاشى الخيال أمام الحقيقة، فجحيم المدينة أشد قسوة من كل أفلام الرعب، ولا أحد يسمع استغاثاتها، وما من مجيب، وتستدعي من ذاكرة الأيام ما كتبته عن غزة بعد حرب العام ٢٠١٤م والتي استمرت واحد وخمسين يوما وقد كانت صعبة لكننا لم ندرك أن هناك ما هو أصعب ينتظرنا في قابل الأيام لتكون حرب الطوفان الهادر، فتهتف موقنة بأحقيتنا بالحياة الكريمة[١] **شعبي حر**

---

[١]) هذه الكلمات من كتابي (**غزة أغنيات الحب والوجع**) وقد جاء في مقدمته: لا أدعي أن ما كتبته وجمعته بين دفتي كتابي هذا شعرا، أو نثرا، وقد لا يكون نظما إنما تفريغ لمشاعر مختلطة وأحاسيس ماجت في الصدر فترجمتها أبجدية الحروف، تدفقت في لحظة

شعبي حر ولا يوم انذل دوم يعيش بكرامة وحمية
شعبي عزيز النفس عنيد يجوع وما يرضى الدنية
كبار صغار كله نفسه أبية
*

اسمع يا عدو واعرف منا أسود حنّا الفلسطينية
نعفو ونصفح لكن عن حبة رمل من أرضنا
كرمالها الدم يرخص وما نستغني عنها
**

ما، عايشنا فيها حرب الخمسين يوم ويوم، في العام ٢٠١٤م، هذه الكتابات جمعت بين الأغنية والقصيدة، بين الموال والطقطوقة، وأحيانا ما يشبه الأوبريت، قد يكون الوصف الأبرز لهذه الكتابات أنها نبض قلب، كتبتها حبا بغزة، ومشاركة لآلامها وآمالها، وصفا للحظات عشناها، ومشاعر عايشناها، كتبتها شكرا لأيادي حملت السلاح ودافعت عن وطن، بأرضه والشجر والبشر

إن لامست كتاباتي هذه قلوبكم، فبتوفيق من الله، وإلا فاعذروني واقبلوها مشاركة لي في محنة غزتي خلال واحد وخمسين يوما أقل ما يُقال عنها إنها قاسية

ملاحظة: أخذت مجموعة من هذه الأغنيات وتم تلحينها وغنائها من قبل ملحنين وموزعين

كلما تفقدت أعضائها وأوجاعها وأنفاسها تجدها في قبو مقبرة، لا أحد يسمع استغاثتها، لا مكان ولا زمان لها سوى قاع القاع في مقبرة صماء، أخذت تصف حالها وطول ساعات فراغها، وهي تقبع في مساحة بحجم مساحة القبر، باتت الفرشة رفيقها، والوسادة لا تفارقها، تُكوم جسدها راسمة نصف دائرة، تمتطي صهوة كوعها وقد ثنت ساعدها تحت رأسها، نصف جسدها يعتلي وسادة، فيما يتكئ نصفها الآخر على وسادة أعلى

على مدار أيام وليالي غربتها لم تنم نومتها التي اعتادت من قبل، أصبح نومها كالجلوس ونعاسها كالسكون، إنها بحالة تأهب دائم للهرب إذا ما اشتد الخطب وزاد القصف، وكأن نصف الجلوس ونصف الامتداد على فرشتها سيجعلها للوقوف أقرب وللهرب أسرع، لكن،،

ما إن اشتد القصف ذات ليلة، وتعالت صرخات الكبار والأطفال، وخرجوا جميعا للشارع احتماء باللا شيء سوى رحمة الله، عبثا حاولت النهوض، لتُحول نصف الدائرة لمستقيم، لكن تأبى الخيانة إلا أن تأتيها من أقرب مقربيها، من مفاصلها وأعضاء جسدها، فكلما اتكأت على كوعها وساعدها انفلتت من عقالهما، وعادت لوسادتها المترعة بهواجسها المخيفة

طائرة الكواد كابتر تتمختر على الإسفلت، يا إلهي، إنها تقف بباب البيت، ارتعدت فرائصها، أُثقلت بحمولة أحزانها، أتُترك والموت وحدها هنا؟،

حاولت الإمساك بتلابيب أطرافها واستجماع بعض قوة غادرتها، علها تهدأ فتنجو، لكن عبثا تحاول،،

تعود إحداهن وتنجح في مساعدتها على النهوض من رقدتها غير الآمنة، فخرجت وخرجوا جميعا، وقد أيقنت أن وصول القذيفة - لو كانت تقصدها- سيكون أسرع بكثير من الوقت الذي ستبدأ به في الاعتدال من نومتها جالسة[1]، فتبكي حالها وتبكي أهلها ومدينتها: **ابكي وطن[2]**

سكبت دموعي ونزلت هيل
طالعها النجم سهيل
قال ويش فيك خليتي نهارك ليل

*

قلت ما أبكي حِبي، ولا أبكي مجدي
أبكي وطن مسلوب
تهت منه وعنه تاهت الدروب

*

---

[1]) لقد تعرضت لصدمات كثيرة، هذه واحدة من عشرات المواقف والأحداث التي تعرضنا لها، لكنها ليست الأكبر وليست الأصعب، لكن لن أوردها في كتاب يتحدث عن الفضل والوفاء، لذا وضعتها خارج هذا الكتاب.

[2]) تم تلحينها لصالح مؤسسة الثقافة والفكر الحر

ابكي ع بيوت مدمرة
ووجوه بالتراب معفرة
ابكي ع غياب الضمير والمرجلة
*
ابكي جيوش قوتها خارت
وناس مع العدو عليَّ دارت
وعهود ما حفظوها فانهارت
*
نسيوا إنها ح تنكب
إذا ف يوم فارت
**

كلَّما حلّ الظلام تكتمل مشاهد الخوف والموت، الجميع ينتظر واحدة من المسميات، تُرى:

هل سيكون شهيدا، أم جريحا، أم تحت الأنقاض مفقودا؟،

أيصبح بأنف مكسور، أم بعين خرجت من قعرها، أم شفاه عض بها على شظية من صاروخ غادر اقتلع مخه وبتر طرفه

وإن كان شهيدا أيكون معلوما، أم مجهول الهوية، فيحمل بدلا من اسمه رقما، أم سيكون أشلاء تختلط بأشلاء الآخرين، فتجاور يده يد شهيد آخر، أو يضعوا قدمه في كيس آخر، أم يزنون في كل كيس من الكيلوات سبعين، - فهكذا أصبحت نهاياتنا في مدينتنا التي كانت جميلة - أو قد يُستدل عليه من ملابسه إن ظل بها بعضا من معالم

غيث ابن الثلاثة أعوام، أحال أخوته جسده لبطاقات تعريفية، فعلى أحد ساقيه كُتب اسمه، وعلى الأخر اسم والده، على يد كُتب عنوان بيته، وعلى الأخرى رقم هاتف ليتواصل من يجده أو يجد أحد أطرافه،

من الشهداء من أمهله القدر لثوان فنطق الشهادتين أو إحداهما، ومنهم من لم ينبس ببنت شفة

كل منّا لسان حاله يقول: على أي حال سنموت؟

حتى نهاياتنا باتت غير معروفة، صحيح أن الأكياس (الأكفان) والأقلام هي الشيء الوحيد المتوفر في هذه الصاخة، لكن كم ممن استشهد نهشته الكلاب، وكم منهم لم يُستدل له على رفات

**

كل هذا القلق غيَّر في داخلي ما كان ليكون، فكان، فكان القرار الذي رفضته من بدايات الحرب، - فُكرهٌ أخوك لا بطل-، لابد من المغادرة

**

النافذة الثانية قلوب غادرها الفرح

الخروج لمصر

يقف المرء مذهولا، يحاول – عبثا - الوصول إلى جواب لسؤال أُفرغ من جوهر محتواه لكثرة تردده؛ لماذا العالم يخذلنا؟، مَنْ اعتادوا الاتفاق على ألا يتفقوا، لماذا على اتفقوا قتلنا؟ يريدوا أن يستأصلوا شأفتنا، فتهتف من عمق جرح نفسها، وانكسار قلبها، فتقول:

كيف حالكم يا مسلمون، كيف حالكم يا عرب؟
أين صوتكم الهادر في الأصداء، أين الغضب؟
قُتلنا وصارت بيوتنا رمادا بلا حجر ولا تُرَب؟
تشردنا وضاع كل ما نملك من بيوت وذهب؟
*
لا رف لكم جفن ولا رفعتم عنا النصب
بأشلاء ممزقة نجمع ونُحرق بالحطب
وأنتم بقصوركم مرفهين بنعم حدَّ التعب

فين الملايين لم نعد نسمعها والصخب
جميعكم مشغول في مهرجانات الطرب
*
لم تلفحكم نيرانها ولم يمسسكم منها اللهب
قست قلوبكم وكفرتم بالقُربى كقسوة أبي لهب
رأيتمونا جوعى على الطرقات نَحيا في كبد
بلا رحمة ألقيتم الشوك في طريقنا
معقودة بحبال من مسد
واذيتمونا كما بالرسول فعلت حمالة الحطب
قل بربك ماذا أعددتم جوابا لربكم يوم العتب
**

مع ذلك القهر، ورغم ضجيج الألم في أعماقنا، وانكسار قلوبنا، ورغم خذلان من خذلنا، كنّا نطمئن مَنْ يسأل عنا، فنقول نحن بخير، فيما أننا لسنا بخير

نحن بخير

سامحونا لقد كذبنا عليكم،
كذبنا عليكم إذ قلنا لكم إننا بخير وقلوبنا تنزف دَمًا،

قلنا لكم نحن بخير وعيوننا تحبس الدمع قهرا وألما،
قلنا بخير وأشلاؤنا تتبعثر في الشوارع والطرقات قِددا،
قلنا بخير وسواعدنا مكبلة بسلاسل الخذلان والقَهَرا،
قلنا بخير والحسرة تنهش أفئدتنا وتُفتت أضلُعَنا شتتا
سامحونا
سامحونا أو سامحوا أنفسكم لأنكم تركتمونا في الميدان وحدنا
استكنتم للنوم ونحن مشردون في شوارع القهر والضياع بِدَدَا،
اطمئنوا لم يعد أي منا بخير ..
**

كما ذكرت آنفا فإن القلق غَيَّر الكثير في داخلي، جعلني أتخذ قرارا ما كنت لأتخذه، بل وما كنت أسمح له أن يخطر لي ببال، لكن قدَّر المولى ذلك، فهي خطوات لابد أن أمشيها، كما قال الشاعر عبد العزيز الدريني
مشيناها خُطىً كُتِبَت علَينا ومَن كُتِبَت علَيهِ خُطىً مشاها(١)

أرسلت لابنة أخي في مصر لتسجل اسمي مع شركة العرجاني، دفعت خمسة

---
١) قيل أن البيت لأبي العلاء المعري

آلاف دولار، هي كلّ ما كنت جمعته لرحلة حج، عليّ أفوز بها قبل أن يحين الأجل - دفعت المبلغ لشركة هلا لتسيير قوافل الخارجين من غزة، الخارجين لا هربا ولا طربا، لم نخرج لأننا نهرب من حتفنا والقدر، فنحن الأكثر صبرا من غيرنا، وأكثر رضاء لأمر ربنا، ونفخر بأن اصطفانا الله لهذه الأرض والوطن، صبرنا ورضينا ونحن لأمر ربنا صاغرون، لكن لا تعجبوا أن صرخنا أو بكينا، فنحن بشر خُلقنا من طين، لنا قُدرة وطاقة، والله لا يكلف الأنفس إلا وسعها، ولا يُحملها ما لا طاقة لها به، يخرجون ليعيشوا المأساة من خارج إطار الصورة، وقد كان، وما بين التسجيل يوم ١٦ أبريل، وبين الخروج في السادس من مايو، كانت النار تأكل فؤادي، كيف سأترك أهلا وصحبه، كيف أغادر وطنا أحببته وما رضيت يوما عنه بديلا؟ وطنا دفعت له ثمنا كبيرا، هل يستطيع من دفع الكثير أن يفرط بما دُفع له، لقد قضيت به من عمري اثنين وسبعين عاما أتفيأ ظلاله، وأتغنى بجماله، به أحلامي وعظيم نجاحاتي، كل شيء فيه زكي النكهة

عايشت به عشرات الحروب، بدءا من العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦م وحتى حربنا الأخيرة ٢٠٢٣م مع ما بينهما من شدائد وصعاب، عشرات الحروب، وانتفاضتين، وما فكرت يوما بالخروج منه

تصدّع كل شيء بداخلي، لم أعد قادرة على التفكير، تركت الأمر لله، فإن كان لي به خيرا فيسره لي، وإلا فدعائي ألا يُسمح لي بالمغادرة

لكن في منتصف ليل السادس من مايو جاء الخبر، سمح بالسفر، ولابد من التحرك في السابعة صباحا في اتجاه المعبر

بعد سبعة أشهر من الحرب الضروس، وتحديدا في السادس من مايو ٢٠٢٤م خرجت من بلدي، خرجت ألملم شعث عُمري، أُطبب عظاما تقوست في ظهري؛ عظاما ترمدت بفعل ضيق المساحة، فتداخل الصدر والبطن مع الظهر في وحدة لم يألفها من قبل، خرجت تاركة خلفي أخوة وأهل وأحبة،، ووطن،، تركت نارا مستعرة إكتويت بلهيبها سبعة أشهر كاملة، كانت بحساب الأيام مائتي جحيما وسبعة اكتويت بسعيرها، تنقلت بها من شمال القطاع لجنوبه في نزوحات سبع، وقد عانيت وعايشت المأساة بكل معانيها وحيثياتها، رغم أنني في نزوحاتي جميعا لم أقطن الخيمة؛ في البداية تم استضافتنا عند بعض الأصدقاء في خانيونس، وعندما جاء القرار بالنزوح، نزحنا ونزحوا جميعا، وفي رفح استأجرنا شقة

عودا على يوم الخروج،، كان السادس من مايو آخر أيام العمل في معبر رفح، وكان اسمي في الكشف الأول من الباص الأول، من كشوفات شركة هلا العتيدة، وصلنا لبوابة المعبر المصرية، فأعادونا للبوابة الفلسطينية بسبب بدء الاجتياح الصهيوني لمحافظة رفح

بعد وقت قليل، وبمكالمة من الجانب المصري أعادونا للمعبر، سُمح بدخول الباصين الأول والثاني، فيما عادت الحافلات الأخرى للجانب الفلسطيني، فتمزقت لُحمة العائلات، عاد مِنْ بالحافلة الثالثة بعد أن دخل جزء من عائلتهم في الحافلة الثانية، فهذا قدر الفلسطيني دوما، تمزق وفرقة ومعاناة لا تنتهي

لتستمر الدلائل التي أؤمن بها دوما وما يقوله المثل **(لا يمشي قدم عن قدم إلا بإذن الله)** صحيحا، لا يمكن لمؤمن أن يشك فيه، فيتجلى ذلك في أبهى صوره يوم المغادرة التي تحققت بإرادة بالغة الحكمة من الله سبحانه وتعالى، كانت مشيئة الله أن أكون من العابرين للبلد الشقيق عَلّي أنعُم بقسط من الراحة، وبعضا من هدوء لا تمزقه صواريخ وقاذفات حقد المحتل، غادرت وأنا أتعلق بمزقة أمل، بأن تنتهي الحرب وأعود لبلدي وبيتي المدمر وأهلي وشعبي، وأتساءل عن حكمة قدر المولى في خروجي، فأتسائل في نفسي، الأنبياء جميعهم أخرجوا من موطنهم الأصلي فرارا بدينهم وحفاظا على عقيدتهم

فهل نحن أنبياء لنُخرج منها؟الأنبياء عادوا موسى لمصر ومحمد لمكة، فهل نعود؟

في بحر خضم متلاطم الأمواج أبحر شراع سفينتي – مُنكسا - نحو قاهرة المعز، على أن تكون معبرا لي للمملكة الأردنية الهاشمية، أغادر وطنا

يعيش بنا، وأبكي لتخلي الأهل والصحبة عنا، فأستمع لصوت غزتي وهي تقول:

أنا وموجي ع الشط بيناغي
يحكي للتاريخ مجدي وأوجاعي
يشتكي العدى مرة
وألف من الإخوة
يشتكي التراخي
*

تعودت غير ربي ما أناجي
وحده ما يملّ من كثر التراجي
إخواني عميت عيونهم
ما عادوا يروون أوجاعي
قلوبهم أغطس من دخان
زاد بالليل أحزاني
لا عاد عندهم نخوة
ولا شيء من الإحساسي
*

حذفت العين منهم
وظل الرب

هو السند الوحيد الحاني
ما يخفى عليه أمري
هو عالم بكل أحوالي
**

على مدار الخمسين عاما الماضية أتيت لمصر مرارا وتكرارا، أتيتها زائرة، وأتيتها مرورا عابرا لدول أخرى حيث إنها البوابة الوحيدة لنا على العالم، فعبرها مررت لدولة الإمارات، وللمملكة السعودية لأربع مرات ما بين حج وعمرة، وللمملكة الأردنية الهاشمية - لكن هذه المرة الثانية التي أتيها للإقامة بأرض الكنانة، فسطاط عمرو بن العاص، خرجت إليها على أن تكون إقامة مؤقتة بإذن الله،، أذكر يوم استأجرت الشقة أصرَّ صاحبها أن يكون العقد لستة أشهر، فقلت له لن نمكث هنا أكثر من شهرين، لأنني سأكون من أوائل من يعود لغزة بمجرد فتح المعبر، يا لسذاجتي، لم أكن حينها لأصدّق أن إقامتي بها ستصل لعام وقد يزيد

هنا في قاهرة المعز حلّت الذكرى الخمسين لدخولي الأول لهذا البلد، ففي الخامس من مارس من العام ١٩٧٥م كانت المرة الأولى التي أُنتزع بها من أديم بلدي الطيبة، ومن حضن أُمي الغالية، فقدان كبيران عصفا بي، لكن رطب سعيره غاية أُرسلت لها، لاستكمال دراستي الجامعية، ومع ذلك كنت أقل طالبة جامعية تمكث في مصر

خمسون عاما مرت على ذاك اليوم، خمسون عاما كانت مليئة بالأحداث والأقوال والأفعال والعمل الجاد، خمسون عاما لم أُضع منهم دون إنتاج أو عمل،- سوى القليل-، فلا أجمل ولا أروع من أن تشعر بأنك أفنيت عمرك فيما ينفع

يا إلهي،، لولا الحروب المتكررة التي فتكت بنا لكانت حياتي جنة، ولكان عطائي أكثر غزارة، ونفعا

لكن،، هذه المرة وبعد خمسين عاما أصلها جسدا فيما كان شغاف الروح يتعلق بأستار مدينتي المكلومة، لم تكن نفسيتي مُهيئة للتجول في شوارعها أو إقامة علاقات مع أحد من أهلها، ولا حتى من جاءها من ابناء شعبي، لقد بت غريبة عن كل شيء، وحتى عن نفسي فكتبت، **لا تسلني عني !**

لا تسلني عني،،، فما عاد لي علاقة بأني
غريبة بت،،، عن اسمي ورسمي ولوني
نفسي عافت نفسي وتخلى بعضي عن كلي
**

لم ألق في أني بشيرا أو حُسن ظني
قد أكون وقد أكون، وقد أتوه عني
أمن الإنس خُلقت أم أني من الجني

لا أملك سوى دعاء أن إلهي أعني
لأعود لنفسي وأُدرك ما غاب عني
**
سئمت مني بالرغم عني
سلوت أمنياتي وحلُمي
سل الأمس وذكرياته عني
يروي لك ما كان لي ومني
وما كان في أعمارنا يعني
**
أتعبني ما كان يطربني، كتبت بالصحف نعيي
غادرتني رياحيني وبات من الأشواك عطري
ارتشفت القلق نكهات فبات يملأ كوني

أضاع الشنار طريق عودته وتاه الدرب مني
ولازلت بثقة أهتف وأقول يا نفسي اطمئني
**

كما ذكرت سابقا، لا أفشي سرّا إن قلت أنني لم أخطط للإقامة هنا، بل الأصل في قرار الخروج أن تكون مصر ممرا للذهاب للمملكة الأردنية حيث

الأهل هناك، لكن قيود فُرضت على دخولنا للأردن منعتني رغم محاولات ابن أختي المتكررة، إلا أنه لم يتح لي ذلك فبقيت هنا

**

النافذة الثالثة: لقاء بالدكتور

في قاهرة المعز، مدينة الحركة والضجيج، كانت حركتي محدودة، لا أخرج من شقتي إلا في أضيق الحدود، فإما لإحضار مشترياتي، أو لبيوت أقرب المقربين، حتى الأنشطة الثقافية، فعلى كثرة ما يوجه لي من دعوات، إلا أنني لم أتماهى معها بانفتاح، لما أعانية في التنقل من ناحية، ولانكفاء على النفس ومتابعة أخبار الوطن وما يتعرض له من أحداث من ناحية أخرى

عرفت في هذا البلد المُضيف أقل القليل، فقُصرت علاقتي بحدود العلاقات اليومية المعاشة، من أصحاب شقق أقمت بها، لأصحاب محال تعاملت معها، عانيت كثيرا، وصدمت أكثر، لكن حبل من الله يمتد إلىّ فأتصبر

إلى أن كان ذاك اليوم الذي تواصل معي الكاتب الكبير الدكتور عادل الأسطة، طالبا رقم خاص بي للتواصل معي، وذلك بطلب من الدكتور مشهور خبازة من جامعة القدس أبو ديس، مدَّ الأسطة حبل التواصل بيني وبين الدكتور مشهور الذي أخبرني أنه بحث عني بناء على طلب من باحث مصري هو الدكتور محمد صلاح جمالي، تنقلت مع سلسلة حلقات التواصل هذه، فتواصل الدكتور محمد صلاح معي، ومنه جاءني الخبر اليقين بأن الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض هو من يقف خلف هذا البحث المكثف

الدكتور إبراهيم علاَّمة وقور، تعرفت إليه في مؤتمر بجامعة الأقصى بغزة في أواخر يناير من العام ٢٠١٢م، فكانت الثقافة نقطة التقاء دام بيننا لعقد ونصف من الزمن، ولا تزال

مذ وطأت قدميَّ أرض مصر وأنا أذكر الدكتور إبراهيم، لكنني ولأسباب عدة لم أفكر بالتواصل معه، أو إخباره بتواجدي في القاهرة؛ منها أنني وصلتها جسدا بلا روح، كنت مهزومة، مكلومة، ولا أريد أن يراني أحد وأنا على هذه الحال، ثم انتظرت إلى أن أطمئن على البلاد ومن فيها من عباد، وأنا لاأزال أعيش أجواء غزتي الغالية، فانكفأت على نفسي، ولم أتواصل إلا مع القنوات الاخبارية؛ لأعرف من خلالها حال الأهل والوطن من شجر وبشر وحجر

خمسة أشهر مضت إلى أن كان ذاك البحث المستمر عني،،

والتقيت بأستاذي الفاضل، وصديق الكلمة الصادقة والثقافة الناجزة؛ الدكتور إبراهيم محمود عوض؛ أستاذ النقد الأدبي بكلية الآداب - جامعة عين شمس، فكانت أول النوافذ

**

قراءة في بطاقته

إنه الدكتور إبراهيم محمود عوض، أديب وناقد مصري، مترجم ومفكر إسلامي، بروفيسور في اللغة العربية وآدابها، يُحاضر في كلية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة، أشرف على العديد من طلبة الماجستير والدكتوراة

في محافظة الغربية الواقعة في قلب الدلتا - بين محافظتي دمياط ورشيد-، والتي تعتبر نقطة محورية للربط بين القاهرة والسواحل الشمالية ومدن القناة؛ وتحديدا في قرية كُتامة الغابة، ولد الدكتور إبراهيم في السادس من يناير من العام ١٩٤٨م

توفيت والدته وله من العمر أربعة أعوام، وما هي إلا سنوات قليلة حتى لحق بها والده، فعاش اليتم في أقسى صوره، إلا أن فطرته النقية وجهته للوجهة الصحيحة، فكان عصاميا، مقبلا على العلم دون ضغط أو مراقبة

ولأن الشيء بالشيء يُذكر، فإن والدي توفي إلى رحمة الله وأنا لا أحمل على عاتقي سوى خمسة أعوام، لم تكن كالأعوام التي يحملها أطفال هذه الأيام، لم ألعب معه، ولم أعايشه، ففي أيامي الغابرة كنت آوي إلى فراشي قبل أن يعود من عمله في المساء، فيما كان يخرج لعمله في الصباح الباكر وأنا أغط بنوم عميق، لذا لم تحفظ ذاكرة طفولتي ملامحه إلا كما أراها في صورته المعلقة على جدار غرفتي، وفي أعماق قلبي

كما لا أذكر له من المواقف إلا ما حدثتني به والدتي التي أصبحت لي - بوفاة والدي - أبا وأما، بل وكل شيء في الحياة، فهي من دفعني لاستكمال

تعليمي الجامعي، فأحسنت إليَّ، وأخذت بيدي في بناء مستقبلي، لذا لا أمل أدعو الله دوما أن يُحسن إليها كما أحسنت إليَّ

تلقيت دراستي الجامعية في جمهورية مصر العربية، فكنت أقل طالبة فلسطينية تمكث بها، حيث كنا نأتي بقوافل الصليب الأحمر في أفواج متتابعة، وكان على من يغادر القطاع في الفوج الأول العودة إليه في الفوج الأول، ومن غادره في الفوج الأخير، يعود إليه في الفوج الأخير، أما أنا فكنت آتي من القطاع في الفوج الآخير، وأعود إليه في الفوج الأول، وكثيرا ما يكون يوم عودتي، امتحان في الصباح وسفر في المساء، أتوجه لمحطة الانطلاق بالحافلات وقد عُدت للتو من آخر الامتحانات، علاوة على أنه في عامي الجامعي الأول وصلت القاهرة في الخامس من مارس، أي بعد بدء الفصل الدراسي الثاني، بذلت ما في وسعي وضاعفت جهدي وتقدمت للامتحانات، فكنت الطالبة الفلسطينية الوحيدة في قسمي التي نجحت دون حمل مواد، بل وبتقدير جيد، لقد كان لي بأرض غزة قلبا أود أن أهرع إليه، رغم أني أعيش هنا في البعد بنبضه

زهدت في العمل في دول الخليج لأني لا أطيق فراقها، كنت أخشى إن ابتعدت عنها أن أفقدها

كان كل من يعرفني يقول فتحية لن تعيش بعد والدتها ولا لأيام، إنها شديدة التعلق بها، ومع ذلك ثلاثون عاما وزادت عاما على فراقها، ولازلت أحيي لأعبد ربي وأعمل

أذكر يوم جاء مفتش المنطقة لتعزيتي بها؛ قال لي عبارة لم أكن قد سمعتها من قبل، قال: **كل شيء يبدأ صغيرا ثم يكبر، إلا الموت يبدأ كبيرا ثم يصغر**

الحزن على فراق أمي لم يصغر يوما، لكن الحياة مضت بعدها ولم أمت، فرحمة الله التي وسعتها وأراحتها من آلام المرض الأليم، وسعتني وأمدت في عمري، فرحمته وسعت كل شيء

عودا على بدء، واستكمالا لبطاقة أستاذنا الفاضل أقول: في طنطا عاصمة الغربية؛ مدينة السيد البدوي اكتنز في عقله وقلبه قسطا وافرا من الورع والزهد، إضافة إلى أنه منذ نعومة أظفاره كان ملازما للمسجد - المجاور لبيته - يستقي منه علوم الدين واللغة، فحفظ القرآن فى طفولته ولمّا يتعدى الثامنة من عمره

ثم تلقى تعليمه فى الأزهر الشريف حتى المرحلة الثانوية، وفيه درس علوم الدين من فقه وتفسير وسير وتاريخ، ومن ذاك المنهل استقى العلوم اللغوية من ينبوعها الأصيل، فتمتع بتكوين معرفي من الثقافة الإسلامية والعربية، كما أنه وفي مرحلة مبكرة قرأ لعباس محمود العقاد والشيخ محمود شلتوت، فكان لهذه القراءات عظيم الأثر في تكوينه المعرفي.

في العام ١٩٧٠م تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة، مسلحا بقدر واسع من العلم والمعرفة تلقاها من جهابذة اللغة وآدابها؛ فمن الدكتور شوقي

ضيف للدكتورة سهير القلماوي، والدكتور شكري عياد، وغيرهم من الأعلام الذين يُشار لهم بكل أصابع اليد، لا بالبنان وحده

وفي العام ١٩٨٢م حصل على الدكتورية من جامعة أكسفورد البريطانية، عن اطروحته الموسومة بـ"**النقد القصصي في مصر منذ بداياته في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي إلى ثمانينيات القرن الماضي**"

ثم هو أب وجد.

**

ثقافته ومنهجه

مما يُلفت له لدى الدكتور إبراهيم سعة ثقافته وتنوعها، باطلاعه على ثقافة وآداب الشعوب الأخرى؛ مما جعله يحيط علما ومعرفة بالأدب العربي داخل مصر وخارجها، وكذا الأدب الغربي؛ إذ ينضاف لامتلاكه زمام العربية الفصحى، إجادته لأكثر من لغة أجنبية، مما أتاح له القراءة منها، والترجمة عنها

وهو ممن لا يَغمط الناس حقهم، فيُرجع الفضل دوما لأهله؛ يقول: **تأثرت بكل من قرأت لهم من المحدثين والقدامى**، ويرى أنه لولا قراءته لانتاجاتهم، لما كان على ما هو عليه الآن، لأن الأساس المتين فى دنيا الكتابة

والفكر والإبداع، لا ينبت صلة عما قرأ، ممن قرأ لهم، تماما كما لا يتبرأ المرء من والديه وأجداده، يقرأ للجميع، حتى من يهاجم الإسلام، يقرأه بتمعن، ليتمكن من صده وكشف ادعاءاته

وهو حين يكتب لا يتكلف كبير عناء، ففي ثنايا كتاباته يُعرّج على ذاكرته، يمتطي صهوتها، ويتكئ على ما تحويه من ثقافة اكتنزها خلال رحلته الدراسية والتدريسية؛ يغترف منها ويقدح زناد فكره، فتسيل الأفكار كلمات مهراقة، ليتماهى قلمه السيال مع فكره وثقافته النافذة في عديد الموضوعات، لذا تجده لا يدنو بحال من الأحوال من فكرة التوقف عن البحث والكتابة، فكل عبارة تفتح عنده آفاقا جديدة لموضوعات أخرى، فتشعر أن قلمه يئن من فيض خاطره فتسيل عباراته مدرارة

كما لا تعوزه الألفاظ ولا المعاني عندما يوثق ما استحلبه الحديث في موضوع ما، ما جعلني أتعرف على الكثير من مفردات حياته من خلال تلك الكتابات، وهو يمتلك قدرة عظيمة على متابعة الحرف والكلمة أينما وقعت عليها عينه، وتلقاها بإدراكه

ينضاف إلى سعة ثقافته؛ غزارة إنتاجه، فكم من مثقف أوقف ثقافته عند حدّ الاستعراض في المجالس والتفيهق على الآخرين، أما هو فيستثمر عمره بساعاته ودقائقه والثوان فيما ينفع الآخرين، فكان كالغيث إذا أقبل استبشر الناس به، وإذا حط نفعهم

ثم رغم غزارة انتاجه فهو متواضع أيما تواضع يقول: صحيح أنني قد عملت شيئا، ولكن في الوقت ذاته غابت عنى أشياء، فيرجو الله أن يتقبل ما عمله، وما قدمه للأدب والنقد والفكر

**

منهجه

فيما يتسم نقده بالموضوعية والشمولية والاستقصاء، فهو لا يتبع في نقده الأدبي أيا من المناهج النقدية الوافدة إلينا، فله منهجه الخاص، ولإضاءة النص المراد نقده يستفيد من كل المناهج؛ فنجده يتعامل مع النص بالمنهج الأنسب الذي تحيله طبيعة العمل في نقده إليه، كلّ بحسب الزاوية التي من المهم النظر للنص من خلالها حتى تكتمل الصورة، هذا جعله لا يقع أسيرا مقيدا بمنهج بعينه في النقد

ويتميز نقده بأنه بناء لا يخضع لهوى النفس، ولا محاريب الضغط، فهو لا يحاكم الإبداعات الأدبية بحسب الموقف السياسي للشاعر أو الأديب، ولا يشخصن الإبداع رغم خلافه مع الشخصية؛ ورغم كل ما قاله عن طه حسين فهو يحب أن يقرأ له، بل ويشيد بكتاباته في الأدب والنقد، ويستمتع بأسلوبه، - اللهم إلا كتاباته الفكرية، التي بدا فيها متأثرًا بالغرب،- لذا نجده يقرأ سيرته أكثر من مرة عبر كتابه (الأيام)، كما لو أنه كان ممن يحكم على الإبداع بذات حكمه على المبدع لما كتب دراسة مطولة عن "المعذبون فى الأرض" حلل فيها أسلوب طه حسين

وهو عندما يطالع قصيدة ما أو ينقدها لا يتعامل مع الجانب الشكلى منها وحده، بل معها كلها كيانا واحدا

كما أنه لا يؤمن بأن قصيدة التفعيلة ذهبت بالشكل التقليدى للقصيدة العربية إلى غير رجعة، وأنها هي من يتربع على عرش الإبداع؛ كما يدّعي أنصارها، ممن يرون أن القصيدة التقليدية فشلت فى التعبير الصادق عن رؤى الشعراء وأحاسيسهم، وأن شعرُ التفعيلة أكثر براحا في التعبير، إنما يرى الشكل الجديد ما هو إلا شكل ينضاف للأشكال الشعرية التى اتخذتها القصيدة العربية على مدار تاريخها الطويل، لكنه ليس هو الشكل المناسب الوحيد، - لا ينكرها لكن لا يقدسها- ، بل يميل إلى أن القصيدة التقليدية قد تكون الأقدر فى التعبير عما يجيش في عقل الشاعر ووجدانه، وهي الأقوى فى إثارة المتلقى والاستيلاء على أذنه وأحاسيسه بل كيانه أجمع، وشهادة التاريخ خير برهان على ما نقول، إذ أين القصائد التفعيلية التى يحفظها القارئ العربى ويعتز بها ويرددها فى المواقف المختلفة؟

وبإيمان العارف يؤكد الدكتور إبراهيم على أن القرآن الكريم ذا قدرة عظيمة على مخاطبة الإنسان بمختلف أعراقه ولغاته وجنسياته، مما جعله يصل لكل اللغات والجنسيات مقدَّما لهم خطابا مقنعا يلبي حاجاتهم العقلية والروحية، ويؤمن أنه لولا الإسلام لما وصلت اللغة العربية إلى مصر

ثم هو دوما يدعو لأدب ملتزم، بعيدا عن الاسفاف والابتذال

**

لمحة عن انتاجه

الدكتور إبراهيم علامة موسوعية، غزير المعرفة والإنتاج، لا ينفق وقته إلا فيما ينفع متنقلا بين البحث والانتاج، كتب في كثير من مناحي الأدب والنقد والفكر الإسلامي، فهو مسلم، مناصر للحق مبغض للظلم، حمل على عاتقه أمانة التصدي لأعداء الإسلام؛ فكتب منافحا عن دينه ونبيه، مواجها المستشرقين بكل ما أوتي من إيمان ويقين

أثرى المكتبات العربية والعالمية بعدد كبير من ابداعاته، يقول في ذلك: " كم للمقادير من حيل عجيبة! ولقد خَبَرْتُ مثل هذه التجربة أكثر من مرة، فثمة طائفة من كتبي لم يخطر لى فى البداية إلا أن تكون مقالات أو أبحاثاً صغيرة، بيّد أن الواحد منها كان يطول وتستفيض القريحة وينساب القلم، وإذا بالمقال أو البحث الصغير يصير كتاباً كاملا."[1]

جمع في كتاباته بين الأدب والنقد، والإسلاميات، فأثرى المكتبة العربية بنحو ١٥٠ كتابا، في مختلف مجالات الأدب والنقد والفكر والدفاع عن

[1] من لقاء صحفي

الإسلام، وهو من أشد المناصرين للفصحى العربية، والأكثر أصرارا على منالحة أعدائها

كما قدم في التفسير والدراسات القرآنية عدة كتب منها على سبيل المثال لا الحصر "المستشرقون والقرآن"، و"السجع في القرآن"، "سورة طه".. **مصدرٍ القرآن - سورة يوسف - سورة المائدة - القرآن والحديث (مقارنة أسلوبية).**

أما في التراجم والنقد وتاريخ الأدب فمما قدمه: **معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين - المتنبي - لغة المتنبي - المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي - عنترة بن شداد - النابغة الجعدي وشعره - أصول الشعر العربي - مع الجاحظ - المرايا المشوهة - في الشعر الجاهلي - في الشعر الإسلامي والأموي - شعراء عباسيون - فصول من النقد القصصي - نقد القصة في مصر - محمد حسين هيكل - محمد لطفي جمعة -القصاص محمود طاهر لاشين - في الشعر العربي الحديث - أدباء سعوديون - دراسات في المسرح - د. محمد مندور بين أوهام الادعاءات العريضة وحقائق الواقع الصلبة.**

وبعيدا عن الحزبية والتبعية المذهبية والسياسية، وبما يمتلكه من غيرة قوية وصادقة علي الإسلام والعربية، ثم بالحجة والبيان تصدى بعدد من الكتب لكل من حاول النيل من الإسلام، يصدهم وينقض دعاواهم وافتراءاتهم، من هذه الكتب: **"وليمة لأعشاب البحر: بين قيم الإسلام وحرية الإبداع"، و"العار: هتك الأستار عن خفايا كتاب: فترة التكون في حياة**

الصادق الأمين لخليل عبدالكريم"، و"افتراءات الكاتبة البنجلاديشية: تسليمة نسرين علي الإسلام والمسلمين"، و"دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل"، و"ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية".

ونلحظ في كتابات الدكتور إبراهيم أنه لا يقف على شواطئ الكلمة، وسطحية الفكرة، بل يغوص في دقائق حياة وكتابات الأدباء، فعلى سبيل المثال لا الحصر يتناول المتنبي في عدد من الكتب منها:

المتنبي دراسة جديدة لحياته وشخصيته - لغة المتنبي دراسة أسلوبية - ميمية المتنبي في عتاب سيف الدولة - التكرار عند المتنبي - الجمع بين المتناقضات في شعر المتنبي - انتهاء البيت بمعطوف مترادف في شعر المتنبي - ابتداء جملة الصلة باسم معرف بأل في شعر المتنبي

المضاف المعرف بأل في شعر المتنبي - العبارة الملفوفة - الدلالة على المثبت بالمنفي عند المتنبي

تتابع الكلمات عند المتنبي - ألفاظ تكثر في شعر المتنبي أربعة أجزاء، وهكذا...

**

النافذة الرابعة: لم يكن لقاء عابرا

لدينا مثل شعبي يقول (**إيش لم الشامي ع المغربي**) أي ما الذي جمع أهل الشام مع أهل المغرب؛ فمصر بلد المائة مليون، وفلسطين بلد الثمانية ملايين، وتحديدا غزة صاحبة الأقل من ثلاثة ملايين

كلية الآداب جامعة عين شمس، وكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الازهر

فمن أين ابتدأت المعرفة، ومتى بدأت؟ وكيف بدأت؟

عن متى ابتدأت، أجيب بأني لا أعرف، لأنني لا أعرف تاريخ بداية متابعته لكتاباتي في صحيفة دنيا الوطن الغزية الالكترونية

أما أين؟ ففي غزة التي لا تُذكر إلا وتُتبع بنعت يليق بها (غزة العزة)

لكنني استبدل بالمثل السابق حديث نبوي صحيح "**الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف**"

ففى غزة قلعة الصمود والإباء وخلال فعاليات مؤتمر بجامعة الأقصى بين ٢٤ - ٢٦ يناير ٢٠١٢م، ورغم أنني حضرت فعاليات المؤتمر بجلساته المنعقدة لثلاثة أيام، إلا أن تعارفنا كان في ثالث أيام المؤتمر، بينما وقفت في مداخلة مع محاضر الجلسة، فما أن ذكرت اسمي حتى عرفني الدكتور، وقد وثقت لهذا اللقاء وذاك التعارف في مقال نشرته في صحيفة دنيا الوطن، وهي

الصحيفة التي اطلع الدكتور إبراهيم على كتاباتي من خلالها، واستمرت الحوارات والمقالات

كما أنه وأنا في غزة أرسل لي مع الدكتور موسى أبو دقة، مجموعة من مؤلفاته مع مجمع حلويات، ولما علم من حامل الهدية نفسه، أن الكتب وصلتني، دون أن يصل مجمع الحلويات لم يغض الطرف عن ذلك رغم أنني لم أعلم بأنه أُبلغ بذلك، فآل على نفسه ألا يحرمني روعة حلويات اختارها بعناية، مرفقا إياها قُبعة لأرفعها لمن أقدره، لتتكرر مرات رفعها له، لازلت حتى فاض الطوفان احتفظ بهذه القبعه، لكن للأسف لا أعرف مآلها بعد تدمير الشقة الخاصة بي

في نزوحي الثامن من الحرب اللعينة لأرض الكنانة، وبعد الوصول إليّ، وقد عرف الدكتور إبراهيم بتواجدي بقاهرة المعز، طلب مني تحديد موعد للقائه في مكتبه بكلية الآداب جامعة عين شمس

كان لقاء لا يخلو من الحديث عن حالنا وأحوالنا، لأول مرة مذ وطأت قدماي هذه البقعة ألتقي بمن يشعر بمعاناتنا، متأثرا لما آلت إليه حالنا، ويشعر بضرورة مدّ يد العون لابناء شعبنا

انتهى اللقاء في مكتبه، ولكن،، يستمر الحراك الثقافي بيننا، دعاني لحضور مناقشة أطروحة دكتوراة يُشرف هو عليها، للباحثة بريهان أحمد

حسين، بعنوان **العبودية والإبادة العرقية في الرواية العربية** (دراسة ثقافية في نماذج مختارة) فكان ذلك، استمتعت برقي المناقشة وعظيم قدر المشرفين والمناقشين، استمتعت ولكن أحدا لا يعلم ما تأجج في صدري من لهيب، وما اجتاحني من وجيب، أعاد أمام ناظري عرض شريط مأساة شعبي والتي تفوق كل قول أو تصوير، من جلستا عن يميني ويساري شاهدتا دموع عيني، فربتتا على كتفي لكنهما لم تريا نزف القلب

يا إلهي،، كم يعرف الحزن أهله، لماذا ساقني الله لحضور هذه المناقشة بالذات، ساقني لموضوع يتماهى مع مآسي شعبي ومعاناة إبادة أرض من وطني

صرخ كلُّ ما في أعماقي،،، يا سادة لا إبادة كإبادتنا، ولا ظُلم كظالمنا، نحن الأكثر ثراء لمادة البحث - بالذات - في هذا المحور الأليم، فابحثوا عنّا وفينا، ونحوا ما عدانا جانبا، فكل الآلام تتضاءل أمام معاناتنا

**

دعم ومساندة

يشرّع الدكتور إبراهيم أمامي النوافذ، فأتنسم منها عبق الوفاء والاطمئنان، يجود بكرمه فيدعم نشاطاتي بأن أفرد لي جزءا من كتابه (من أدب الأقطار العربية) زاد عن المائة صفحة، فيشرفني وهو يضع سيرتي مع

سير ثلة من قامات الإبداع في الوطن العربي ضمن مساق يُدرس لطلبة الدكتوراة([1])

وارتباطا بمقرره هذا دعاني لجلسة ألتقي فيها بطلبة الدكتوراة لأتحدث معهم عن كتاباتي وأنشطتي الثقافية وصالون نون

كما من خلاله دعاني الدكتور محمد صلاح جمالي ليوم ثقافي تنقلنا به ما بين المكتبة الحضارية والمساجد الأثرية في منطقة القلعة الأثرية، فكان يوما زاخرا بالمعلومات القيمة، ولا يتوانى بتوجيه الدعوات لي لحضور ندوات وفعاليات ثقافية جمّة، إلا أن ضعف الحركة لدي تحول دون ذلك

بفضله والدكتور محمد صلاح تم ترشيحي للفوز بهدية مجمع اللغة العربية الذي قدَّم لي مجموعة من الكتب القيمة تسلمتها من الأستاذ الشاعر خالد مصطفى

كذلك كانت -عن طريقه- معرفتي بالدكتور القدير فوزي تاج الدين، فيدعوني دون سأم للعديد من الفعاليات الثقافية، كما أشركني في مجموعة للنقاد والأدباء الفاعلين

---

[1]) سأدرجه لاحقا

واستكمالا للنوافذ المشرعة يرشحني الدكتور محمد صلاح للقاء في إذاعة القاهرة ماسبيرو لبرنامج بتوقيع المؤلف مع الاعلامي معتز العجمي

بعد أن وقعت في خلل دار النشر في إخراج كُتبي؛ الأمثال الشعبية وقصة الخليل إبراهيم في القرآن الكريم، تجشم أستاذي الفاضل عناء إيصالي لدار نشر جيدة والتنسيق معها لأنشر من خلالها كتاب دعاء الأنبياء، لم يكتف بذلك بل أراد أن يتحمل تكلفة طباعة الكتاب على نفقته الخاصة لولا إصراري على الرفض، وتأكيدي على الناشر ألا يأخذ منه شيئا.

صحيح أنني لم أعرف في غربتي إلا القليل فوجدت في قليل من القليل خير الصحبة وصدق القيل، أكتب له فأقول:

استاذي الفاضل شكرا لك

شكرا لاستقبالك الراقي، شكرا لتعاونك ومساندتي

شكرا لك وقد أخذت بيدي التي لا حول لها ولا قوة

شكرا أن عرَّفت صفوة المثقفين بي وعرفتني بهم

شكرا أن جعلتني جزءا من مادة تُدرَّس لطلبة الدكتوراة

شكرا لك ما فتئت تطمئنني وتؤكد لي أن لي في غربتي أهلا وصحبة

شكرا لك، ومن قبل الشكر لله أن جعلني أعرفك، وأن ظل التواصل والود بيننا منذ عقد ونصف من السنين

شكرا لكل مَنْ رأيت من مجتمع المثقفين وصفوة علماء اللغة والأدب، هم فقط من لمست أنهم يشعرون بمعاناتنا وقضية إبادتنا.

فعلا الصفوة فقط هم من تستطيع التعامل معهم، وهم مَنْ تحمل الألفة بينهم أعظم القيم وأصول المعرفة بالبشر

كرم ما بعده كرم وما بالفضل يسبقكم عَلَم

**

يقول في كتاباته عني أن هناك رابط بيننا وهو حبنا لفدوى طوقان، لكنني أجد أكثر من ذلك من نقاط التقاء، وأضيف لذلك روابط عدّة، فالوفاء والاخلاص ديدن كلينا، وهما رابط آخر يجمعنا، ثم إن حُب البحث والكتابة وانفاق كبير وقت بهما يجمعنا، كما أن الانتصار للحق والانتصار لقضيته هو مما يجمعنا، ثم إن السادس من يناير أيقونة أخرى لروابط أُلفتنا، فبه يستقبل كلّ منا عامه الجديد.

**

النافذة الخامسة: أنا في كتابه

في فصل أورده عني في كتابه من أدب الأقطار العربية، -المقرر لطلبة الدكتوراة-، وثق لسيرتي وبعضا من أنشطتي، ورفدها بما أفرزه لقاءنا من موضوعات شهدتها صفحات صحيفة دنيا الوطن الفلسطينية

وحين اغتنمت فرصة إصدار الطبعة الثانية لكتاب دعاء الأنبياء من أرض الكنانة (مصر)، استأذنته أن نستهل هذه الطبعة بتقديم يسطره بكلماته

الراقية، فاختار أن تكون الكلمات التي أنتجها لقاؤنا في غزة، وما صاحبها من استمرارية التواصل بيننا عبر سنوات، لتكون هي التقديم لكتابي، فكانت كما يلي:

فتحية صرصور وصالون نون الأدبي بغزة(١)

فتحية كاتبة وأديبة فلسطينية ولدت سنة ١٩٥٣، وكانت أسرتها قد هاجرت فى يوليو سنة ١٩٤٨م من مدينة اللُّد المغتصبة، وتعيش الآن بمدينة غزة، وقد حصلت كاتبتنا على الإجازة العالية في الدراسات الإسلامية والعربية من كلية البنات الإسلامية الأزهرية بالقاهرة، وحصلت على ماجستير اللغة العربية في النقد الأدبي عن أطروحتها الموسومة بـ"خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان" من جامعة الأزهر بغزة

عملت بعد التخرج مُدَرسة، ثم مديرة لمدرسة هاشم الشوا الثانوية للبنات لثمانية عشر عاما إلى ٢٠١٣م حيث بدأت حياتها الجديدة بعد التقاعد، فشاركت كاتبتنا فى الكثير من الفعاليات والأنشطة الأدبية والسياسية والاجتماعية من ندوات ومؤتمرات وحصلت على عدد من الأوسمة والدروع، ولها عضوية فى عدد من المجالس واللجان والاتحادات الفلسطينية، وتزاول كتابة القصة القصيرة والمقال الصحفى والدراسة النقدية وتكتب للأطفال وتَنظم الأغانى.

---

(١) جزء من بحث قُرر على طلبة الدكتوراة من كتاب (من أدب الأقطار العربية) للدكتور إبراهيم عوض

من مؤلفاتها: "خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان، رحلات فدوى طوقان - محطات صعبة وأخرى مضيئة، فدوى طوقان تعزف لحنها الأخير وتمضي، فدوى والإبداع، فدوى طوقان وأنا، الرؤيا في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، قصة الخليل إبراهيم في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، عصفور القلب (مجموعة قصصية)، اخترت لك (من روائع الأدب العربي والغربي)، مدرسة الحاج هاشم الشوا- سيرة ومسيرة، كتّاب حياتي (سيرة ذاتية)، خربشات من كشكول يوميات الحرب المريرة، غزة أغنيات الحب والوجع، قراءة في ديوان مفردات فلسطينية للشاعر صالح فروانة، قراءة في ديوان النورس للشاعر مصطفى الأغا، استنطاق معاني المكان في يافا- قراءة في أعمال خليل حسونة الشعرية، قراءة على قراءة الأديب المصري الدكتور أحمد فضل شبلول، سلسلة "كائنات ذكرت في القرآن"، سلسلة "القصص التراثية"، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، رحلة داخل الأوطان (أم الريحان جنة الرحمن)، رحلة غريب عسقلاني بين الغربة والإبداع، أمثالنا الشعبية من الأجداد للأحفاد.

وقد تعرفت إلى كتّاباتها من خلال صحيفة "دنيا الوطن" الغزّية حيث كنت أنشر مقالاتى إلى أن التقينا بالمصادفة فى غزة خلال فعاليات مؤتمر بجامعة الأقصى بين ٢٤ - ٢٦ يناير ٢٠١٢م (بتصرف كبير عن ترجمتها بـ"ويكيبيديا" العربية) .

والآن أترك القراء الكرام مع بعض كتابات السيدة فتحية صرصور.
فتحت عنوان "غزة نبض القلب" كتبت أديبتنا فى صحيفة "دنبا الوطن" بتاريخ (٢٦/ ١/ ٢٠١٢م) :

"ما أروع أن تلتقي الشرايين فتختلط دماها، ومن ثَم تضخ بلازما واحدة في القلب الكبير، دم حمل نكهات جميلة من أجساد متعددة تجمعت في جسد وطن واحد: من النيل العريق بنكهات السمرة السودانية الجميلة، وخفّة الدم المصري، ومن عراق الإباء والجسارة، إلى الأردن الهاشمي، في هذه الدورة كان القلب غزة، عبر مؤتمر أعدت له جامعة الأقصى العتيدة بالفترة بين ٢٤ - ٢٦ يناير ٢٠١٢م.

تلقفت جدول أعمال المؤتمر باحثة عن الأسماء المشاركة، فقد أجد بعضا من أساتذتي ممن علموني بكلية البنات الإسلامية بالقاهرة منتصف سبعينيات القرن الماضي. كل المشاركين خير وفضل، لكنّي لم أجد من أساتذتي أحد، ووجدت أحدهم يدعى: الدكتور موسى عتلم. فعُدت بذاكرتي لذاك التاريخ المجيد، وكان أستاذ الحديث الدكتور عبد الحكم عتلم، أخذني الولاء والاعتراف بالفضل فمشيت للدكتور موسى حيث كان يجلس لأسأله عن أستاذي. قال لي إنه قريبي، وأبناءه أسامة وإخوته يسكنون الشارع المجاور لبيتي، أما هو فرحمة الله عليه.

سألت: أتوفاه الله؟

- نعم

هنا أدركت أنني فقدت واحدا من رجالات العلم والدين، واحدا ممن كان له فضل عليَّ، ومَنْ شرُفتُ أن أكون إحدى طالباته في يوم من الأيام بل لعامين متتاليين، استمطرت لروحه الطاهرة الرحمات والبركات، ودعوت له ولا زال لساني يلهج: اللهم اغفر لأستاذي وكل مَن له فضل عليّ.

في الجلسة الثانية من جلسات اليوم الثاني للمؤتمر كانت ورقة عمل للدكتور إدريس جرادات، من قرية سعير بالخليل، والذي مُنع من الوصول للرئة الثانية في جسد الوطن: غزة ، فأوكل قراءة ورقته للأستاذ رشاد المدني، وقد تناول فيها الحديث عن التراث.

أجريت مداخلة مفادها أنه في الوقت الذي يفخر الآخرون عربا وغربا بتاريخهم وحضاراتهم الممتدة عبر قرون ما قبل التاريخ فإن البعض يرى أن التمسك بالتراث يعني العودة للخلف، ويدعون لأن نسعى نحو التكنولوجيا والمستقبل، في حين أنني أرى أن التراث هو هوية الشعوب، لذا لابد أن نحافظ على هويتنا وننقل مفردات التراث للأجيال القادمة، وهي بدورها تأخذ على عاتقها مهمة الحفاظ عليه وغرسه في نفوس أبنائهم وأحفادهم، وإنني من منطلق الولاء للتراث والانتماء للوطن أعكف على العمل بكتاب يتناول مفردات هذا التراث، أنجزت منه ما يزيد عن مائتي صفحة من القطع المتوسط، وهنا سألت الأستاذ رشاد عن جهة وعنوان يكون مرجعا لي فيما كتبت كي يكون عملي متكاملا صحيحا خاصة أنني استقيت جزء من

مادته مشافهة من كبار السن، وجزء آخر مما توفر لي من كتب ورقية والكترونية، وهو ليس بالوفير.

الشاهد في موضوعي أنني قبل طرح مداخلتي عرّفت بنفسي، وقبيل الإعلان عن انتهاء الجلسة رأيت أستاذا فاضلا مشاركا في فعاليات المؤتمر، وهو من جمهورية مصر العربية القريبة لنا جوارا جغرافيا وجوار القلب، هو الدكتور إبراهيم محمود عوض

سألني: أنت فتحية صرصور، التي تكتبين في صحيفة "دنيا الوطن"؟

أجبته أن نعم.

قال: بمجرد أن سمعت اسمك تأكدت أنك أنت، فأنا أقرأ ما تكتبين.

وهنا أصرّ أن يسمح له رئيس الجلسة ليقول كلمة.أجابه أن الجلسة ترفع لبدء جلسة ثانية، فقال: كلمة شكر فقط. فسمح له

قال فيها: إن غزة تعطينا أكثر مما نعطيها، إن لصحيفة "دنيا الوطن" فضلا علينا، إنها النافذة التي ننشر كتاباتنا عبرها أنا والأخت فتحية التي تجلس أمامي، فشكرا للأستاذ إبراهيم عيسى الذي كان ينشر لي دون أن أعرفه أو يعرفني.

تأملت كلماته وقلت فعلا إن الثقافة بيت يجمع المثقفين على امتداد الجغرافيا والتاريخ، فها هو في مصر يقرأ لي ولم ينسى اسمي، واليوم شاء القدر أن نلتقي وجها لوجه بعد أن كان لقاؤنا على سطح شاشة الحاسوب، ثم إن الوفاء والشكر سمة أصيلة في الشعب المصري الجميل، فلم يكن غريبا أن يلتقط

اسمي ويربطه بكتاباتي وبالموقع الذي أكتب عبره ليسطر له الشكر من هنا وقبل أن يغادر أرض غزة.

**

موقف آخر أثر بي كثيرا، وهو من الدكتور عوض نفسه.

سألني: لماذا لم يمنحوا درعا للشابة الكفيفة (دلال التاجي) التي قامت بدور الترجمة؟ فكونها من غزة لا يمنع أن تكرَّم وتفرح، أريد أن أهديها الدرع خاصتي، سأتنازل عنه لها، ويكفيني أن أراها فرحانة.

قلت له: بل دع الدرع معك ليكون ذكرى من فلسطين.

لكنّه أصرّ على فعل ذلك.

تسللت من المشهد وقد خنقتني العبارات فرحا وتقديرا للوفاء.

انتهى المؤتمر ولما تنتهي كلمات الود والمحبة والتقدير لكل من حضر وشارك، وكل من أشعرنا بأنه جاء لأرض مباركة، ويعز عليه مغادرتها.

انتهت فعاليات المؤتمر، لكن يبقى الدم الدافق في شراييننا يجمعنا علما وأدبا، دينا وبحثا.

كل التحية للمشاركين وأخص الوفاء متمثلا بشخص الدكتور إبراهيم محمود عوض، وأسجل سعادتي بأن التقيتهم والتقيته على أرض غزة الصابرة."

**

وقد قام كاتب هذه السطور(الدكتور إبراهيم) بكتابة رد فى جريدة "دنيا الوطن" الغزاوية على تلك الكلمة بعنوان "إلى الأستاذة فتحية صرصور بنت غزة الأصيلة" هذا نصه :

"دخلت مجلة (الصواب "صحيفة") "دنيا الوطن" خصيصا هذا الصباح، وهو الصباح الأول لى بعد وصولى البارحة للقاهرة قادما من غزة حيث كنت أشترك فى المؤتمر الأول لعمداء الدراسات العليا والبحث العلمى، أو بالأحرى: "خارجا من الجنة" كما كنت أقول دائما لزملائى الفلسطينيين والمصريين وغيرهم ممن شاركناهم شرف الوجود فى غزة العزة والكرامة، إذ كنت أسمى إقامتنا فى غزة معززين مكرمين مُتْحَفين بالألطاف الغزاوية: "خمسة أيام فى الجنة"، وكنت أشعر ونحن نغادر هذا الجزء الغالى من الوطن العربى بشعور آدم وهو مطرود من الفردوس، أقول: لقد دخلت لأبحث عن أى مقال للأستاذة فتحية صرصور كى أقول لها كلمة تستحقها فوجدتها سبقتنى إلى كتابة هذا المقال الإنسانى الجميل الذى ما إن وصلت فيه إلى حكاية الآنسة المترجمة الظريفة حتى جاشت مدامعى، ولكنى كعادتى السيئة أمسكت نفسى رغم أنى وحيد فى غرفة نومى ومكتبى، وباقى البيت نائم لا يزال .

يا سلاااااااااام! إن الأستاذة صرصور لا تتذكر فقط ما وقع بينى وبينها، بل تتذكر شيئا آخر لم أكن أتصور أنها كانت حاضِرَتَه، فضلا عن أن يظل منقوشا فى ذاكرتها الكريمة بهذا الشكل، وهو ما حدث بينى وبين الآنسة

المترجمة الكفيفة الظريفة الذكية اللوذعية، بارك الله فيها، ولم تشأ الأستاذة أن تكتفى برواية ما حدث، بل وشّته بحسها الإنسانى الجميل. وإنى لأنتهز هذه الفرصة كى أرجوها تبليغ تحياتى ومودتى وحبى وتقديرى للآنسة المذكورة مشفوعة بقبلاتى على رأسها ويديها، فهى تستحق هذا وأكثر، وكذلك للدكتورة جين الأسترالية، التى لا بد أن مترجمتنا الظريفة تعرفها، إذ هى التى ترجمت لها ملخص بحثها للمؤتمرين، وكانت تصحبها طوال الوقت.

شىء آخر أحب أن أذكره هنا، وهو الساعة البديعة التى قضيتها صباح يوم الرحيل، يوم الجمعة الماضى، فقد ذهبت لأداء صلاة الفجر فى المسجد القريب من فندق بيتش، الذى كنت أنزل فيه مع بعض زملائى فى المؤتمر، وبعد العودة قررت أن أستأنف رياضة المشى التى كنت قد أهملتها منذ أن وصلت غزة، فمضيت أحث الخطا فى الشارع المحاذى للشاطئ صعودا وهبوطا... إلى أن لمحت بائع "سميط" هابطا من شارع متفرع منه وهو يدفع عربته المتهالكة ذات العجلتين الملتويتين قاصدا، فيما أقدّر، مزاد السمك القريب، فيممته قاصدا مطارحته بعض الحديث فى ذلك الصباح الغزاوى الساحر الذى أغرق قلبى مع رذاذ مطره بالدفء والحنان والرضا وأنا أستمتع بمرأى ما حولى وأفكر فى زملاء الجامعة الغزاويين الذين زاملتهم سنين أربعا فى كلية الآداب بقسم اللغة العربية وآدابها من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠م، ولم أستطع أن أتتبع خيط حياة أى منهم فى غزة، فقلت له على سبيل المداعبة وفتح الحديث: ماذا تبيع؟ فأشار إلى ما معه من سميد وغيره، فالتقطت سميذة

كبيرة وقد عدت بمشاعرى إلى طفولتى حين كنا نُفْتَن بهذا النوع من الخبز، وسألته عن ثمنها فقال: شيكل. ثم أخرج من جيبه شيكلا يرينيه حتى يعرّفنى معنى الشيكل. فأجبته أنْ ليس معى إلا فلوس مصرية. ثم أدخلت يدى فى جيبى فأخرجت ما معى من أوراق مالية ناويا أن أعطيه خمسة جنيهات أو عشرة فلم أجد، فاعتذرت وكدت أنصرف.

إلا أن رجلين فلسطينيين أقبلا فى تلك اللحظة على دراجة بخارية يريدان أن يشتريا شيئا من الرجل، فطلبا منه أن يعطينى ما أريد وهما يتكفلان بدفع الثمن، فاعتذرت قائلا لهما إنى أنزل فى فندق فيه كل شىء، ولكنى إنما أردت أن أحييه ليس إلا، ثم تنبهت إلى أننى لا ينبغى أبدا أن أكون أقل من هذين الغزاويين النبيلين شهامة وكرما، فوضعت يدى فى جيبى وأنا أشعر بوخزة فى قلبى وأخرجت آخر ورقة معى من فئة الخمسين جنيها وقدمتها له، وأخذت السميذة. وظن الرجل لطيبته أننى أنتظر الباقى، فقلت له إنها هدية منى له، فأخذ يتمتم خجلا، على حين شعرت أنا بشىء من الرضا لأنى تصورت أننى أدخلت على قلب أحد الغزاويين بعض المسرة، إذ إننى أومن أنه لا ينبغى أن يشعر غزاوى بأى حزن لأنه شىء لا يليق. ولكننى الآن، وأنا أكتب هذه الكلمة، أحس بالندم يجتاحنى اجتياحا لأنى لم أضاعف للرجل النحيل الطيب المبلغ الذى قدمته له. أرجو أن يغفر الله لى لأنى لم أمض مع تيار الحنان شوطا أبعد.

هذا، ولا بد، ما دمنا فى سيرة الغزاويين وذكرياتى فى غزة، أن أذكر الأستاذ عبد الله عيسى محرر "دنيا الوطن"، فإن مجلته تؤدى دورا عظيما فى الربط بين قطاع كبير من كتّاب الوطن العربى لا يبتغى هو من وراء ذلك جزاء ولا شكورا إلا من ربه. وهذا ما دفعنى إلى ذكره فى المؤتمر والثناء عليه وعلى مجلته. لو أننى أعرف أين يقع بيته لكنت قمت بزيارته. فسلاما للأستاذة فتحية صرصور، التى أثمر لقائى بها فى المؤتمر كل تلك النفحات والبركات. وتأبى غزة إلا أن تكون أريحية على أحسن ما تكون الأريحية."

وفى "دنيا الوطن" أيضا كتبت بعد ذلك بعدة أشهر وبتاريخ ٢١/ ١٠/ ٢٠١٢م، مقالا آخر عن كاتبتنا عنوانه "كلمة عن الأستاذة فتحية صرصور"، وهو يجرى على النحو التالى:

"كنا فى غزة فى الشتاء الماضى نحضر مؤتمرا عقدته جامعة الأقصى ودعانى لحضوره أنا وبعض من رشحتهم من الأصدقاء والزملاء الصديق د. موسى أبو دقة، وفى إحدى الجلسات كانت أمامى سيدة لا أعرف عنها شيئا بل لم أر وجهها، فقامت لتقول كلمة تعلق بها على رأى من آراء أحد الأساتذة المتحدثين فى الجلسة، وقدمت نفسها قائلة: فتحية إبراهيم صرصور، فنبّه لى الاسم الذى سمعته ما كان غافيا من ذهنى، وتذكرت أننى قرأت له أشياء فى صحيفة "دنيا الوطن" الغزاوية التى يصدرها الأستاذ إبراهيم عيسى والتى ينشُر فيها أطيافٌ لا حصر لها من كُتّاب الوطن العربى من المحيط إلى الخليج، بل مما وراء المحيط والخليج أيضا، وهو ما يثير منى العجب والإعجاب،

إذ ها هى ذى فلسطين مرة أخرى تجمع العرب والمسلمين فى دنيا التأليف والإبداع كما جمعتهم من قبل فى دنيا النضال ضد الغرب وربيبته إسرائيل. وكما كانت فلسطين بمثابة جرس إنذار أيقظهم بعنف من رقدة الفشل بل العدم ها هى ذى تنشر لهم إبداعاتهم دون أن تنتظر منهم جزاء ولا شكورا، وهو ما يؤكد قولى الذى أردده دائما من أن الفلسطينيين هم قاطرة العالم العربى والإسلامى، وأنه لولا صمودهم أمام جحافل قوات الغزو الغربى الصليبى والصهيونى لكان العالم العربى قد ضاع كله وتم احتلاله.

وعقب الكلمة التى عقبت بها السيدة فتحية صرصور وجهت إليها الحديث قائلا: ألست أنت التى تكتبين فى صحيفة الأستاذ إبراهيم عيسى: "دنيا الوطن"؟ فأجابت: بَلَى، أنا هى. فرحبت بها، فكان ترحيبها بنا أجمل وأكمل. وعرفت من خلالها الآنسة الذكية الموهوبة الأستاذة دلال خريجة قسم اللغة الإنجليزية والمترجمة الفورية، كما تعرفت أيضا إلى السيدة جين الأسترالية، التى تتبنى دلال نفسيا وتتحمس لها وتؤمن إيمانا قويا بقدراتها ومواهبها. ثم انتهى المؤتمر وعدنا إلى مصر، فكأننا قد خرجنا من الفردوس. إى والله كان هذا حالى وحال من كلمونى من زملائى عن رحلة غزة بعد العودة إلى أرض الوطن، وإن كانت فلسطين هى وطن كل العرب والمسلمين فى ذات الوقت.

واتصلت بى الأستاذة فتحية هاتفيا من غزة بعد ذلك بقليل أثناء انعقاد إحدى الندوات بصالون "نون" الأدبى، الذى تشرف عليه مع د. مى عمر نايف إحدى زميلاتها الكريمات، وقدمتنى إلى الحاضرات والحاضرين

مثنيةً عليّ بما أنا غير أهله، وقالت من فرط كرمها إنها تخلع القبعة إكراما لى. فضحكتُ لأنى أعرف أنها تلبس طرحة لا قبعة. وعزمتُ من يومها أن أرسل للصالون النونى قبعة من القاهرة حتى ترفعها لمن تريد تكريمه: ترفعها حقيقة لا مجازا، وهو ما فعلتُه منذ عدة أسابيع. فلها الشكر. وهى قبة كاوبوى أصيل لا ينقصها إلا حصان الكاوبوى ومسدسه، ثم الكاوبوى نفسه بعد ذلك، وهو ما لا قِبَل لى به! تكفينى القبعة، وهى ليست بالإنجاز القليل!

وبالمناسبة فقد كنا نسير ذات مرة فى أواخر سبعينات القرن الماضى فى لندن فى وسط المدينة ذات صباح مشرق جميل، فرأت ابنتى، التى كانت فى الحضانة فى ذلك الوقت، بعض رجال الشرطة الإنجليز فى ملابسهم الأنيقة الزاهية وقوامهم الرشيق، فقالت لى إنها تريد أن أشترى لها "a policeman"، فأجبتها بانى اشتريت لها هذا الـ"policeman" من قبل. أقصد شرطيا من هؤلاء الشرط الأنيقين ذوى البزات الحمراء الزاهية والسوداء الداكنة والذين يباعون، على سبيل التذكار، فى علبة من علب البلاستك الأسطوانية. لكنها عاجلتنى قائلة فى استنكار إنها تريد"a moving one" ، أى شرطيا متحركا. فلم أفهم ماذا تريد، فقالت موضحة لى أنا الذى لا يفهم بسهولة: "مثل هذا"، والحمد لله أنها لم تقل: "مثل هذا يا بنى آدم"! وأشارت إلى أحد رجال الشرطة الواقفين على مقربة منا. فقلت لها ضاحكا: اذهبى أنت إليه وقولى له إننى أريد أن يشتريك بابا لى. فردت بأنها تستحى أن تفعل ذلك. تريد أن تقول: أما أنت فلا تستحى يا بابا. فضحكت وتظاهرت بأن الشرطى سوف يقبض عليّ

لو قلت له هذا الكلام. لكن على من تنشد مزاميرك يا داود؟ وكان يوما يعلم به ربنا، ولا أدرى كيف وضعتُ حدا لهذا الأمر وخرجت من هذا المأزق بـ"صنعة لطافة" مصرية.

واليوم أحب أن أقول إننى متعجب أشد التعجب من هذا النشاط الغزاوى الجميل فى دنيا الثقافة، ومنه صالون"نون" (نون النسوة على ما فهمتُ وعلمتُ)، الذى يعقد لقاءاته بانتظام رغم كل الظروف المعوقة التى نعلمها جميعا. فللمشرفات على الصالون منا التحية والتقدير والإعجاب والدعوات الطيبة. إنهن يعملن فى صمت ومثابرة وطول نَفَس وإيمان بدور الثقافة والإبداع. بارك الله فيهن وأكرمهن وأعلى مراتبهن وكتب أسماءهن فى صحائف المجد والتاريخ.

وفى يدى الآن وأنا أكتب هذه السطور بعض الكتب التى سطرها يراع الأستاذة فتحية صرصور، فضلا عن كتاب يشتمل على بعض محاضرات الصالون عن أدب المرأة. أما كتب السيدة صرصور فهى: "نماذج من الأدب العالمى" و"قصة الخليل إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم" و"الرؤيا فى القرآن الكريم" و"خصائص الأسلوب فى شعر فدوى طوقان". والكتب الأربعة تعكس تنوع اهتمامات السيدة الفاضلة وحرصها على أن تظهر مؤلفاتها فى أحلى صورة ممكنة طباعيا وإخراجيا. وهذا من الأمور التى تعجبنى، إذ الكتب بوجه عام لا تلقى منا فى إخراجها العناية الواجبة. لكن الأستاذة لا يفوتها هذا، وهو من حسناتها الدالة على رقى ذوقها.

وما دام الكلام قد جرنا إلى فدوى طوقان فربما كان ينبغى أن أذكر أننى مهتم بتلك الشاعرة منذ وقت طويل حتى لقد اخترت لها قصيدة درّستها سنة ١٩٧٦م لطلبة وطالبات قسم اللغة الإنجليزية، اللاتى كنت أحاضرهن وأنا شاب فى مقتبل العمر حين كنت مدرسا مساعدا، وكنت ولا أزال معجبا أشد الإعجاب بهذه القصيدة البديعة. كما قرأت منذ عدة أشهر كتابها عن سيرة حياتها وتألمت لها مما وقع من بعض أفراد أسرتها تجاهها لحرمها من استكمال تعليمها الرسمى ومن الزواج، وإن تساءلت أحيانا فيما بينى وبين نفسى: ترى هل كان يقدَّر لفدوى طوقان أن تكون شاعرة ملء السمع والبصر لو استكملتْ مسيرة التعليم؟ على أية حال أنا أرى أنه لم يفتها الكثير جَرَّاء هذا، إذ إن أسلوبها الشعرى والنثرى هو من الأساليب الجميلة المتفردة. لكن لم يعجبنى حديثها عن عاطفة الحب التى ربطت بينها وبين رجل بريطانى حين زارت بريطانيا بترتيب من أحد أقربائها هناك، إذ هى فى آخر المطاف رغم يساريتها مسلمة، أما هو فليس كذلك. وبالمثل لم أرتح ليساريتها رغم إيمانى بأن لكل إنسان الحرية المطلقة لاعتناق ما يرى أنه حق. بيد أننى، رغم هذا الإيمان، أرى أن من حقى أنا أيضا إبداء رأيى. أليس كذلك؟ فها هو ذا القارئ يرى أن هناك شيئا آخر مشتركا بين الأستاذة فتحية صرصور وبينى، وهو اهتمامنا نحن الاثنين بفدوى طوقان. وبالمناسبة فأنا أحب أخاها إبراهيم حبا شديدا، ولا شك أنه صاحب فضل على أخته عظيم، فضل نفسى وفكرى، فله الرحمة من الله.

تحية منى للأستاذة فتحية صرصور ولكل سيدات غزة ورجالها وشبانها وشاباتها، ولكل بيوت غزة وأشجارها ومساجدها وشوارعها. ولا أظننى سوف أنسى أبدا صباح الجمعة الذى سبق عودتنا من غزة بيوم، ذلك الصباح البديع العجيب الذى قضيته متمشيا على الشارع الموازى للبحر ذاهبا آيبا على مقربة من حلقة السمك، وكانت قطرات المطر الناحلة تسقط على رأسى فتنعشنى، وأنا أفكر فى أهل غزة وصمودهم ونبلهم وعزة نفوسهم. بارك الله فى أهل غزة الأبية الصابرة المناضلة، وكتب لها النصر على أعدائها، ولأهلها استرجاع بلادهم عربية مسلمة شامخة"!

**

ويورد في كتابه تقارير لثلاث جلسات مما قمت بإدارتها في صالون نون ونشرته في كتاب بعنوان "من جلسات صالون نون الأدبي"، جلسات ثلاثة اختارها بعناية ليُطلع من يقرأ كتابه على نضال شعبنا برجاله ونسائه من خلال جلسة عائشة عودة وأحلام بالحرية، ويسلط الضوء على إبداعات هذا الشعب من خلال جلسة مناقشة رواية بقايا امرأة والتي تشير لدور غزة الإنسان والمكان في النضال والسعي للحرية، كما أنه من خلال جلسة مناقشة كتاب رحلة داخل الأوطان (أم الريحان جنة الرحمن)؛ يلفت إلى حرص هذا الشعب على توثيق تاريخه وجغرافيته، وأحقيته بوطنه، لتصل للأجيال القادمة، فيحملوا راية النضال لاسترداد الأوطان.

فتحية وصالون نون الأدبي

ومن كتابات الأستاذة فتحية صرصور كذلك التقرير التالى عن إحدى فعاليات صالون "نون" الأدبى، الذى أسسته أديبتنا بالتعاون مع صديقتها د.مى نايف زيادة، وهو منشور فى صحيفة "دنيا الوطن" بتاريخ ٩/ ٥/ ٢٠٠٨م، وعنوانه "**صالون"نون الأدبي يعيش أحلام عائشة عودة بالحرية**"، وفى هذا التقرير نطلع على جانب من جوانب الأدب الفلسطينى ونعايش بعض مبدعيه ونقاده وقد كتبت فتحية فيه:

"عند الخامسة من بعد عصر الثلاثاء ٦ مايو كانت جلسة التحدي لرمز من رموز التحدي الأسيرة المحررة عائشة عودة، افتتحت الأستاذة فتحية صرصور اللقاء بأبيات أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحيا ة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد للّيل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

ثم قالت: كما يتحدى أسرانا البواسل ظلام السجن وظُلم السجان أتينا لنتحدي ونجابه الحصار، أتينا نحمل بين الضلوع وفي أعماق النفوس ذكرى مأساتنا ذكرى النكبة، أتينا لنعلن أننا شعب لا يموت ولا يستكين، ونقول بأعلى صوت: ما مات كبارنا لأنهم أحياء بما غرسوه فينا من حب الوطن والعمل على تحقيق العودة، ولنقول لهم إن ما لم يتحقق في حياتهم لابد أنه

بعون الله سيتحقق على يد صغارهم الذين ما نسوا يوما ولا تناسوا حقهم في فلسطين الوطن والتاريخ.

أعزائي الحضور، جئتم اليوم تشاركوا وإيانا هذه الجلسة المتميزة في الظروف متميزة، حيث نعيش وضعا كان بالماضي استثنائيا، لكنه بات أمرا يوميا، حيث الكهرباء مقطوعة، والمواصلات متوقفة والهواء مسمم وملوث، والحصار يضرب أطنابه حولنا والآلام تتوافد علينا من كل حدب وصوب، ومع ذلك جئتم وجئنا لنبقى على عهد الوفاء للوطن أولا وأخيرا، وللشهداء والأسرى دوما، وبعد أن احتفينا بهم وعلى امتداد شهر إبريل، شهر الشهداء والأسرى، بعد أن أحيينا ذكرى شهداء الوطن، فإننا نتواصل معكم اليوم لنتناول في جلستنا هذه واحدة من أسيراتنا اللاتي ضربن المثل في التضحية والفداء والتحدّي. إنها عايشة عودة، من مواليد قرية دير جرير قضاء رام الله ، عملت كمعلمة رياضيات وعلوم، اعتقلت في ١ مارس ١٩٦٩م بتهمة وضع عبوة ناسفة في أحد المطاعم الإسرائيلية، حكم عليها بمؤبدين وعشر سنوات، فهل لمن يُقضى عليه بمثل هذا الحكم من أمل في الإفراج؟ نعم، فمن يؤمن بعدل الله ورحمته يُدرك أنه إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون، ولأن دولة الظلم ساعة، ودولة الحق ليوم الساعة فإننا ننتظر تحقق الحرية لكل أسرانا البواسل وأسيراتنا الماجدات.

لقد قضت عائشة من محكوميتها عشر سنوات لتخرج ضمن صفقة التبادل في مارس ١٩٧٩م وأبعدت لخارج البلاد، دخلت المجلس الوطني

الفلسطيني كعضو عام ١٩٨١م، ثم عادت لأرض الوطن مع قدوم السلطة الوطنية عام ١٩٩٤م. لها كتاب "أحلام بالحرية"، الذي نحن بصدد مناقشته اليوم، ومجموعة قصصية بعنوان "يوم مختلف". ماذا فعلت مع السجن والسجان، وكيف حلمت بالحرية بعيون لا تنام، تابعوا معنا قصتها مع مؤبدين وعشر سنوات يرويها لنا الأديب والناقد ناهض زقوت:

بدأ الأستاذ ورقته قائلا: حرية الوطن أم حرية المرأة؟ عائشة عودة وأحلام بالحرية. من حق كل إنسان مستلب أن يحلم بالحرية، فالأحلام بالحرية متعددة المستويات والرؤى، فثمة أحلام بالحرية على مستوى الفكر، والحق في التعبير، والإبداع، والكتابة، وحرية من العادات والتقاليد والأعراف السائدة، وتخلف المجتمع، وثمة حرية للمرأة، وأخرى للرجل، وحرية من المعتقل، والأهم هي حرية الوطن. ولكن يبقى قول الكاتب الكبير يوسف إدريس: "لو وزعت الحرية الممنوحة في الوطن العربي لا تكفي لكاتب واحد" حقيقة ماثلة للعيان على مدى الظلم الذي وصلت إليه الأمة العربية على مستوى إبداعها.

ونحن في هذا الكتاب إزاء حرية من نوع خاص، تتمثل في حرية الوطن وحرية المرأة معا. وهذا الموضوع تميز في الأدب الفلسطيني، وخصوصا لدى الكاتبات الفلسطينيات. فثمة العديد من الروايات التي ناقشت حرية الوطن وارتباطها بحرية المرأة، وبناء على رؤيتهن لا يمكن أن يتحرر المجتمع الفلسطيني من قيد الاحتلال إلا إذا تحررت المرأة من قيودها الاجتماعية.

لكن هذه الرؤية النسوية لم تأت دفعة واحدة لدى الكاتبات الفلسطينيات، إنما تطورت أبعادها بعد قراءة الواقع الفلسطيني بكل مكوناته الاجتماعية. نأخذ مثلا "سحر خليفة" وهي خير من يمثل هذه الرؤية. حينما كتبت سحر خليفة روايتها الأولى "لم نعد جواري لكم" (عام ١٩٧٥) ناقشت حرية المرأة وفق المفهوم العام لحريتها المرتبطة بالمساواة مع الرجل، ولم تتطرق إلى مسالة الربط بين حرية المرأة وحرية الوطن. ولكن بعد نضوج تجربتها من خلال الاحتكاك المباشر بالواقع النسوي وبالواقع الفلسطيني بشكل عام كتبت في الثمانينات روايتيها" "الصبار، وعباد الشمس" لتطرح من خلالهما رؤيتها بان حرية المرأة لا يمكن أن تنفصل عن حرية الوطن. وهذه الرؤية أصبحت كالمعتقد لدى الحركات النسوية الفلسطينية.

ويأتي كتاب "أحلام بالحرية" لعائشة عودة، والصادر في طبعته الأولى عام ٢٠٠٤، وفي طبعة ثانية عام ٢٠٠٥، ليطرح هذه المسالة في شكل جديد، وهذا ما يميزه.

إن الكتاب يسجل تجربة عائشة عودة على أربعة مستويات متداخلة: حريتها الشخصية وأحلامها بامتلاك المسؤولية الفردية، وحرية المرأة من قيود المجتمع وعاداته وتقاليده، وحرية الوطن من الاحتلال، وحريتها من المعتقل. ويعد هذا الكتاب من الأدب التسجيلي أو أدب التجربة الشخصية، وهو الأدب الذي يحكي عن تجربة مرّ بها الكاتب في حياته، وليس بالضرورة أن يستعرض فيها كل التجربة إنما بعض ملامحها البارزة والمهمة والمؤثرة.

تعتبر تجربة المعتقل أو السجن من أكثر التجارب الفلسطينية اتساعا، وأشدها عمقا وألما. فقد مرّ بهذه التجربة الآلاف من النساء والرجال الفلسطينيين، وانعكست بدورها على ذويهم ومحيطهم الاجتماعي. وسجل الأدب الفلسطيني عشرات التجارب الإبداعية في أدب المعتقلات، وهي في أغلبها تجارب شخصية، مثل روايتي: "الزنزانة رقم ٧، وتحت السياط" لفاضل يونس، و"قفص لكل الطيور" لحضر محجز، و"العربة والليل" لعبد الله تايه، وغيرها.

ولم يكن الشعر بعيدا عن هذه التجربة، فكل شاعر دخل المعتقل الإسرائيلي سجل تجربته في قصيدة أو ديوان، مثل ديوان "زمن الصعود" للمتوكل طه، و"ترانيم خلف القضبان" لعبد الفتاح حمايل، و"المجد ينحني أمامكم" لعبد الناصر صالح، و"أوراق محررة" لمعاذ الحنفي، و"الجراح" لهشام عبد الرزاق، وغيرها. كذلك القصة القصيرة.

ومع هذا تبقى تجربة المعتقل في الأدب الفلسطيني ناقصة، اذ لم تسجل بما يكفي من أغلب جوانبها، فهي تجربة غنية بالأحداث والمواقف والبطولات والتداعيات والآلام والجروحات، والأبعاد الإنسانية، والأبعاد الإجرامية للمحتل، والممارسات السادية والعنصرية للمحقق الإسرائيلي، والعلاقات داخل المعتقل سواء بين المعتقلين أنفسهم أو بين المعتقلين والسجان الإسرائيلي.

لقد تعودنا على قراءة التجارب الشخصية التي يكتبها الذكور في أدب المعتقلات لأنه نادرا ما تكتب المرأة الفلسطينية المناضلة تجربتها لأسباب اجتماعية. إلا أننا في هذا الكتاب أمام تجربة غنية وفريدة تتحدى المجتمع، وتقدم المرأة بكل تكويناتها الإنسانية والبطولية في مواجهة المجتمع بكل الرواسب الكامنة فيه، والمحقق الإسرائيلي بكل عنصريته وساديته، كل هذا في سبيل قضية آمنت بها وناضلت من اجلها، ودفعت الكثير في سبيلها.

تنتمي عائشة إلى عائلة مناضلة عانت كثيرا من ممارسات الاحتلال: أخيها عاش مطلوبا للاحتلال وهرب إلى الأردن، وخالد ابن عمها مطلوبا للاحتلال وقضي ثلاثة عشرة سنة هاربا في الضفة الغربية، وأحمد عودة ابن عمها وزوج أختها معتقل ونسف الاحتلال بيتهم. انضمت عائشة إلى حركة القوميين العرب في المرحلة الثانوية، وبدأت نضالها في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ الأيام الأولى لاحتلال عام ١٩٦٧، اعتقلت في أوائل مارس/آذار عام ١٩٦٩ بتهمة وضع عبوة ناسفة في مطعم إسرائيلي "السوبر سول" عام ١٩٦٨، وحكم عليها بعد تعذيب شديد بالسجن مؤبدين وعشر سنوات. أبعدت عن أرض الوطن في أول عملية تبادل للأسرى بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل فيما عرف بـ"عملية النورس" عام ١٩٧٩، وعادت إلى أرض الوطن مع كوادر منظمة التحرير في عام ١٩٩٤، وأقامت في قطاع غزة لمدة عامين قبل أن تستقر في مدينة رام الله.

يعتبر كتاب "أحلام بالحرية" الجزء الأول من تجربة اعتقال فتاة فلسطينية كما جاء في الصفحة الأولى للكتاب، وينتهي بنهاية التحقيق معها وانتقالها لغرف المعتقل بانتظار المحاكمة. وهي تعكف الآن على تسجيل الجزء الثاني من هذه التجربة. كما صدر لها مجموعة قصصية بعنوان "يوم مختلف."

يكتسب هذا العمل أهميته الخاصة من كونه يؤرخ للحظة تاريخية شكلت الملامح الأولى لمشاركة المرأة الفلسطينية في الثورة والنضال ضد الاحتلال، ولم تُعْطَ هذه التجربة الاهتمام الذي تستحق رغم أهميتها في تاريخ النسوية، وفي إغناء الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني.

يأتي الكتاب على شكل فصول، وكل فصل يستعرض جانبا من جوانب التجربة، وهذا لا يعني الانقطاع بين الفصول، إنما نلمس التداخل بينهما بكل قوة وانسجام لتشكل في النهاية التجربة التي خاضتها عائشة عودة. وكانت عناوين الفصول كالتالي: "أحلام بالحرية، منتصف الليل، التحقيق، اعتراف وما بعده، ويتشقق الجدار، استئناف الحياة، زقزقة، مع المجموعة."

وعبر ١٥٨ صفحة استطاعت الكاتبة أن تزاوج بين قضيتها الوطنية وقضيتها النسوية بصورة خلاقة بحيث جعلتهما عنوانين متلازمين مع حريتها، تستمد من الثانية القوة والصلابة والتحدي، ومن الأولى القدرة على التفكير بالانعتاق والتحرر والحلم بالمستقبل، وتلمس طريقها نحو حريتها الشخصية التي لن تكتمل إلا بحرية وطنها.

والسؤال الذي يطرح نفسه قبل الدخول في بنية النص، خصوصا أن تسجيل هذه التجربة يأتي بعد ٣٥ عاما من وقوعها: ما الحد الفاصل بين زمن الحدث وزمن الكتابة؟ فزمن الحدث في عام ١٩٦٩، وزمن الكتابة في عام ٢٠٠٤. فهل كان لزمن الكتابة تأثيرا مباشرا على زمن الحدث أم حافظ الحدث على قوة تأثيره، وقوة حضوره في ذاكرة الكاتبة؟

لقد سجلت عودة تجربتها في التحقيق بمنتهى الصدق والشفافية الإبداعية وبشجاعة نادرة، ولا تتردد في تسجيل لحظات الضعف الإنساني إلى جانب الصمود والمواجهة. لهذا يعيش القارئ تجربتها بكل أناتها وآلامها وأفكارها وهواجسها ومخاوفها.

البحث عن الحرية: تفتتح تجربتها على مشهد مأساوي حزين، وهو مشهد وداع الأخ المسافر إلى "ما وراء سبع بحور"، وهى أمام هذا المشهد قوية صابرة لم تذرف الدمع كالأخريات لأنها لم تكن في سياق المشهد، إنما خارجه على مستوى الخيال، إذ كانت مأخوذة بعالم من الحرية: "أمي وأخواتي يبكين خوفهن وقلقهن. أما أنا، ورغم القلق الكامن في وعيي من المستقبل الغامض والمخيف، كنت لحظتها مأخوذة بعالم من الحرية والروعة انبثق داخلي وصنع لروحي أجنحة تطير خلف تلويحة يد أخي المودعة، ترف كجناح حمام يطير نحو أفق بعيد."

هذا العالم كان هاجسها ويلخص مكونات شخصيتها ويسبر أغوار النفس لديها، فهي منذ سنوات شبابها تحلم بامتلاك الحرية، الحرية التي تتحمل فيها

المسئولية وحدها دون رقيب أو حسيب، إلا أنها كانت تصطدم دائما بالنقص الذي يسربل شخصيتها، فهي بنت وليست ولد، والبنت تلزمها قيود وعادات وتقاليد وأعراف، أما الولد فهو حل منها، وله الحرية كأخيها يسافر حيثما يشاء لأنه يمتلك حريته: "يا لروعة الحرية التي يمتلكها أخي، يا لروعة حياته، سيركب البحر وسيصل إلى بلاد بعيدة ومجهولة، يكتشفها، يتجول فيها وحده، وحده حرا، هكذا كالطير، يا لروعة ذلك. هل أستطيع امتلاك حرية مثل أخي؟ أسافر وحدي وأتجول في عوالم مجهولة وحدي؟ آه ما أروع الحرية. لكن لن يسمح لي أهلي. ماذا لو كنت ولدا أو بلا أهل؟ هل سأصبح حينها حرة مثل أخي؟ أسافر وحدي؟ أقرر وحدي؟ أتحمل المسؤولية وحدي."

هذه الأبعاد النفسية والأحلام تجذرت في اللاوعي لديها، وأصبحت هي المحرك لشخصيتها وسلوكها المجتمعي، ولا تمل من استحضار أحلامها بامتلاك الحرية يوما ما.

وتعود هذه الأبعاد النفسية إلى العلاقة الجدلية القائمة على التمايز بين الذكر والأنثى في المجتمع. وتلك العلاقة خلقت لديها إحساسا بالنقص والدونية، لكثرة ما واجهته من تصنيفها كأنثى أقل شانا من الرجل، وخصوصا داخل عائلتها. وهذا الإحساس تكون لديها منذ أن كانت في الصف الرابع الابتدائي. وتقدم مبرراتها لهذا الإحساس بناء على موقف عمها حينما جاءته بالشهادة متفوقة في كل المواد، فقال لها: "بس يا خسارة انك بنت". فصدمها منطق عمها، وحينما سألته عن الفرق بين الولد والبنت قال:

"نفرض انك أكملت تعليمك وتوظفت بعيدا عن البلد، لا نستطيع تركك تسكنين لوحدك، لازم حد من اهلك يسكن معك. بس الولد يسكن لوحده وما بنتغلب فيه وما بنخاف عليه". ورغم كل محاولاتها لإثبات جدارتها وتفوقها إلا أنها أمام مبررات عمها في رؤيته/ أو رؤية المجتمع: "بنظل متغلبين مع البنت" زادت حدة انكسارها، إلا أنها لم تستسلم ورفضت منطقه.

وكان عليها التحدي والمواجهة لتثبت المنطق الخطأ في هذا التميز: "منذ ذلك الحين سكنني رفض مطلق لمنطق التمييز ذاك، وتحول الرفض إلى معركة دائمة أديرها بصمت وبشكل تلقائي بيني وبين المنطق الذي يجعلني أقل قيمة وأكثر عبئا من الولد أو الرجل لكوني فتاة، وبحثت دائما عن التفوق لأثبت أنني لست أقل من الولد، ورغبت في خوض الحياة والتجارب التي يخوضها الولد ثم الرجل نتيجة إصراري على رفض الدونية التي يلبسني إياها المجتمع."

لهذا نلمس لديها العديد من المواقف والآراء التي توجه فيها الإدانة للرجل على مواقفه، كأنها تسخر منه وتعريه، وتعري منطق الرجولة الذي يتباهى به أمام المرأة، في محاولة منها لكي تثبت للقارئ ولنفسها أن الرجل ليس أكثر منها قوة وصلابة ومسؤولية. فالرجال في نظرها "يتركون البلد، والنساء تبقى."

فهذا أخيها الذي سافر لبلاد الغربة، ترك العائلة لمصير مجهول بعد أن "رهن البيت لوكالة نعواس للسفر" دون أدنى إحساس بالمسؤولية على مستقبل أمه وأخواته، كأنه يبحث عن مصيره، ويترك الآخرين ليتدبروا مصيرهم: "أمي

لم تتوقف عن البكاء. كانت أمي ترتعد خوفا من المستقبل. ماذا لو حصل لابنها الوحيد مكروه لا سمح الله؟ أو نسيها وبناتها ونسي البلاد كلها؟ ما الذي سيحل بها وببناتها إذا حضر "نعواس" بعد ستة أشهر واستولى على البيت ورمى بنا إلى الشارع؟ أتصبح هي وبناتها بلا رجال وبلا سند وبلا بيت كذلك؟ انه يسافر ويتركها مرهونة لقدر ترتعد فرائصها منه خوفا، فكيف ستكف عن البكاء؟."

وكذلك ابن عمها خالد المناضل الذي فضل الاختباء والمطاردة خوفا من المواجهة والاعتقال. وذلك حينما حاصر الجيش منزليهما يريد اعتقالهما، وكانا الاثنين خارج المنزل، وتقابلا في الطريق لمناقشة كيفية التصرف، تقول: "أقف مع خالد ابن عمي، على حافة مستقبل غامض ومجهول، زاخر بالصعوبات والتحديات، وعليَّ أن أقرر تحمل المسؤولية وحدي، وأواجه الصعوبات والتحديات وحدي. ها أنا أقف مع ابن عمي على قدم المساواة، واتخذ قرارا يعاكس قراره مائة وثمانين درجة، هو يقرر الاختفاء، وأنا أقرر المواجهة، هو يتجه شرقا نحو البلدة القديمة، وأنا اتجه غربا نحو بيتنا المحاصر بجنود الاحتلال."

وفي المعتقل تدين الرجال الذين يعترفون على زملائهم، وتحقر من سلوكهم وتصرفهم. كما هي نفسها شعرت بالاهانة والانكسار حينما تواجهت مع أحد الشباب الذين اعترفوا عليها، ورغم إنكارها لهذا الاعتراف كنوع من التحدي لجلادي الاحتلال إلا أنها شعرت بتلقيها "صفعة أقسى من كل

الصفعات والركلات والخبطات التي انهالت عليها قبل ذلك". فهي لم تكن تتصور انكسار الرجل وضعفه أمام المرأة أو أمام المحققين "كيف للرجال إلا أن تصمد؟ كيف يقبل لنفسه الانكسار؟ كيف تجرأ أن يبدو أمامي معترفا وضعيفا؟". إن إحساسها بالدونية أمام الرجل يدفعها إلى مزيد من التحدي والمواجهة لكي تثبت لكل من كان يعايرها بأنوثتها بأنها أقوى من الرجل، فتذكرت عمها، وهي تسمع اعترافات الرجال وانكسارهم، وموقفه منها وإيمانه بتفوق الرجال على النساء، تقول: "كنت تؤمن بتفوق الرجال على النساء، لو كنت حيا لوضعت أمامك حقائق تعمل على تغيير رأيك، الرجال لا يتفوقون على النساء، ولا يعتمد عليهم أكثر. اصمدي يا عائشة، وعلى العالم أن يقتنع أن الرجال ليسوا أفضل من النساء."

الطريق إلى الحرية: وإذا كانت أهدافها من الحرية قبل هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ هي السفر والتجوال في العالم، وأن تثبت حضورها في المجتمع بامتلاك الحرية الشخصية وتحمل المسؤولية الفردية كالرجل إلا أنه بعد عام ١٩٦٧ تغيرت أحلامها وزادت تحدياتها للمجتمع وقيوده، وأصبحت تبحث عن حرية من نوع خاص تثبت فيها حضورها كأنثى، وتتحدى فيها الرجل: "هل أودع أحلام السفر والتجوال وأستبدلها بأحلام المواجهة والبقاء على أرض الوطن؟ أليست الحرية قرارا؟ قرار الالتصاق بالوطن والدخول في صميمه؟ قرار مواجهة العدو حد الالتحام وخوض المجهول رغم الصعاب؟."

وفي المرحلة الثانوية انضمت إلى حركة "القوميين العرب"، ومن ثم إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وشكلت مع زميلاتها في الدراسة خلية ثورية بقيادة المناضلة لطيفة الحواري دون علم من الأهل لأن موقفهم كان بالنسبة لها معروفا، هو الرفض التام لدخول المرأة معترك النضال: "ديري بالك يمه من الأحزاب، في بنات بورطوك، ابعدي عن السياسة، السياسة خراب بيت". وحينما اكتشفت والدة لطيفة الهدف من وراء اجتماعاتهن في منزلها أعلنت الحرب عليهن وطردتهن من المنزل، وعندما انتقلن إلى منزل أخي لطيفة المغلق لاحقتهن بالطرد أيضا، فقررت عائشة مواجهتها بعد أن صرخت في وجوههن: "ألم أحذركن أنكن تلعبن في النار"، فقالت لها عائشة: "ولكن يا خالتي كيف لنا أن نغير واقعنا؟"، فردت عليها بأن دولة الاحتلال لا ترحم، وطريق السياسة طريق هلاك. فما كان من عائشة إلا أن قالت لها "إذا خفنا وخاف غيرنا فمن سيغير؟."

والتغيير هنا غير مرتبط بواقع المرأة فقط بل بالتغيير من واقع الاحتلال. لهذا تقدم عودة أسباب التحاقها بالمقاومة، والتي نكتشف من خلالها عن رؤية مختلفة عن رؤيتها للتحرر من عقدة الأنثى، وبما يؤكد اختيارها للطريقين، وليس إحساسها بدونية المرأة فقط أمام الرجل كان الدافع إلى اختيارها لطريق النضال، إنما ما شاهدته ولمسته من ممارسات الاحتلال، وكانت مذبحة دير ياسين الحافز الأقوى لديها بحكم ارتباطها بالموضوع، فقد كانت خالتها من سكان القرية،وكانت تقوم مع أسرتها

بزيارتها، ولها ذكريات مع أولاد وبنات خالتها، وحينما وقعت المذبحة كان عمرها آنذاك أربعة أعوام، وذهبت مع والدتها إلى المزرعة الشرقية حيث بيت أخوالها، وهناك استمعت إلى قصص وأحداث عن دير ياسين، وكانت تخزن ما تسمعه في ذاكرتها العميقة: "توالى سرد القصص، وكان الجميع ينتحب، وأذني تنفتح على أقصى إمكاناتها، وأدخل كل كلمة وكل قصة إلى بئر عميق في قلبي وذاكرتي. لقد استقرت هناك في المكان القصي حيث تنبع منه كل التوجهات والأحلام."

وهذه التوجهات والأحلام المخزونة تحولت مع الزمن إلى فعل نضالي. فعندما يسألها المحقق الإسرائيلي عمن أرسلها لوضع العبوة الناسفة تقول في حوار داخلي: "هو لا يدرك أن أحدا غيرهم لم يرسلني لعمل شيء. ولكنهم هم منذ طفولتي فعلوا ذلك. منذ تفتح وعيي، منذ أن رأيت أسرة خالتي وأهالي دير ياسين في الأيام الأولى من تشردهم، وأنا احلم بالقتال لإعادتهم إلى قريتهم وإعادة اللاجئين إلى بيوتهم ومدنهم وقراهم، كثيرا ما حلمت بقيادة الجيوش لتحرير فلسطين."

الوصول إلى المعتقل: شاركت عائشة عودة في عملية فدائية، كانت هي السبب في اعتقالها، وحينما جاء الجنود إلى منزلها لاعتقالها كانت خارجه، ولكنها عرفت أن البيت محاصر، والجنود يجرون تفتيشا بداخله ويسألون عنها مما جعلها تقف أمام خيارين: الاختفاء أم المواجهة؟ وحين قفز إلى ذهنها خيار الاختفاء، استعرضت تجربة أخيها ورفيقتها وداد قمري في الاختفاء وما

واجهوه من صعوبات.. فقررت "لا، لن اختفي، لن أهرب". وحين استعرضت تجربة الاعتقال، استعرضتها من خلال رفاق دخلوا المعتقل وواجهوا حقيقة الاعتقال والتعذيب.. لمست في تجاربهم الصمود في وجه المحتل/ المحقق كما قالت لها لطيفة الحواري: "أن الصمود ممكن، وأن العدو ليس قويا كما نراه من الخارج". ورغم أن هذه التصورات والتجارب منحتها بعض القوة والصمود على المواجهة: "لن أموت من الضرب، والضربات التي لا تميتني تقويني" إلا انه كان ثمة ما هو أقوى من تلك التجارب، وهو محاولة إثبات الذات، أما الآخرين وخصوصا الرجال: "ها أنا ادخل في كبرى المعارك التي يدخلها الرجال، وها أنا وإياهم أمام الاختبارات نفسها، وعلىّ التفوق في الاختبار."

إن الحالة النفسية المسيطرة عليها وشعورها بعقدة الأنثى جعلاها ترفض الهروب كما فعل ابن عمها خالد، وقررت العودة إلى البيت ومواجهة مصيرها. وبكل استسلام للحالة النفسية تقول: "تصورت أن اعتقالي أصبح قدرا لا راد له، وكالمؤمنين الذين يستقبلون القدر بصبر أردت أن استقبل اعتقالي كذلك". لهذا تشير إلى استغراب الجنود حينما رأوها عائدة إلى البيت ولم تهرب. قال لها الجندي: أرأيت؟ لقد امسكنا بك بسرعة، أنت مطلوبة لجيش الدفاع. فردت عليه: أعرف، ولهذا أنا قادمة. أسقط في يده، وبان استغراب على وجهه. كان هذا الموقف أول مراحل صمودها ومواجهتها للمحتل.

وبعد ركوبها سيارة الجيش معتقلة تصف حالة أمها في تلك اللحظات، مما جعلها تعيد اكتشاف علاقتها بأمها، التي كانت دائما على النقيض منها.."لم يسبق أن رأيت أمي في مثل هذه الفجيعة، كانت تندفع بغريزة كبركان متفجر". تسجل الكاتبة هنا موقفا في غاية الأهمية يتمثل في خروج الأبناء عن أعراف العائلة في مسألة النضال: "لم أفكر بها (تقصد أمها) عندما قررت العمل في مقاومة الاحتلال. وقررت مواجهة الاعتقال هذا اليوم ولم أضع رد فعلها ومعاناتها في الاعتبار، لم يكن لهذه التفاصيل حساب. هل كان ذلك قسوة؟ أم شوق الشباب واندفاعه لصناعة التاريخ؟". إن الأخذ بهذه التفاصيل من وجهة نظرها يعتبر خيانة للأهداف الكبيرة التي نذرت نفسها لها، وهي حريتها وحرية شعبها.

كما تعود بذكرياتها إلى بيت العائلة، هذا البيت الذي سيتحول لاحقا إلى كومة من ركام، مما جعلها تقدم وصفا دقيقا لكل زاوية، ولكل ركن فيه، ولكل حجر بناه، ولكل شجرة زرعت في حديقة المنزل. حتى قن الدجاج لم تنساه، وقدمت من خلاله أحلامها وآلامها وذكرياتها وطفولتها وشبابها. لقد أرادت أن تقول إنه الاحتلال الذي اغتصب الوطن يحاول الآن أن يغتصب ذكرياتها وأحلامها: "أشعر الآن وأنا اكتب عن البيت كأنه نهر دافئ يغمرني ولا أود الخروج منه."

وفي الطريق إلى المعتقل تتوقف سيارات الجيش عند أحد الأماكن، ويذهب الجنود ويحضرون الأسلحة من المخبأ، الذي لا يعرفه إلا أربعة من

بينهم عائشة. وهنا أخذت تساءل نفسها، عمن كشف لهم عن المخبأ؟ وتلقائيا اتهمت الرجل بالضعف والاعتراف على المخبأ، ولم توجه الاتهام للمرأة، لأن المرأة لا تقل صمودا عن الرجل: "من دلهم؟ من المسؤول؟ هل يكون علي؟ ولكنه ليس معهم؟. أيمكن أن يكون عمر؟ ولكنهم لم يحققوا معه بعد، وخالد لم يلقوا القبض عليه. من أذن؟ لا أحد يعرف عن المخبأ إلا أربعتنا؟ أيعقل أن يكون علي، ولم يصمد أربعا وعشرين ساعة؟ اصمدي يا عائشة، كوني نموذجا للصمود، فليس الرجال أكثر صمودا من النساء."

ورغم كل تلك المواقف التي حدثت معها أو هيمنت على تفكيرها، وهي في داخل سيارة الاعتقال حاولت أن تبقى صامدة كنوع من التحدي للاحتلال: "اجتهدتُ للحفاظ على هدوئي رغم ما تمور به كينونتي من حركة وانفعال، غابت أمي وكذا الماضي عن تفكيري، وانصب على الحاضر والمستقبل، ورابطهما الصمود."

وبعد وصولها إلى معتقل المسكوبية بالقدس، دخلت عائشة عودة مرحلة جديدة في حياتها. وكان السؤال الماثل أمام ناظريها "هل تستطيع الكف مواجهة المخرز؟ وكانت إجابتها المعبرة عن التحدي والإصرار على المواجهة: نعم، نصفح الكف بالحديد". هل استطاعت أن تصفح الكف بالحديد أمام سادية المحقق الإسرائيلي وعنصريته؟.

في كل مرحلة من مراحل التحقيق ومع كل ضربة تتلقاها كان الرجل ماثلا أمام عينيها. فقد سيطر عليها هاجس ندية الرجل، وأنها ليست

أقل منه صمودا وتحديا. حينما صعدت الدرج إلى غرفة التحقيق ودخلت غرفة وجدتها مليئة بالرجال، فانتابها خليط من المشاعر والأحاسيس شكلت لديها إحساسا بالتحدي الممزوج بالرهبة، وقالت: "وحدي أنا بينهم، وأنا ند لهم". وحينما هددها المحقق قائلا لها: عايزة تكوني أجدع من الرجال؟ تقول: أعجبتني صيغة السؤال. قلت في نفسي: عايزة أكون أجدع من الرجال."

وصورة الرفيق الذي انكسر أمامها معترفا كانت ماثلة تحذرها من الوصول لمثل ما وصل إليه: "إياك أن تنكسري يا عائشة، اصمدي يا عائشة، فالصمود ممكن. كنت أحدث نفسي بينما أتلقى الصفعات على وجهي".. وحين قال لها المحقق: "لا حاجة لتمثيل البراءة، الكذب يشع من عينيك، أنت أخطر بكثير مما نظن، الأجدى بك الاعتراف" تقول: "أخطر بكثير مما نظن؟ جملة دغدغت غروري، وغذت حالة التحدي عندي". كانت حالة التحدي لدى عائشة عودة على بعدين: تحدي الرجل والندية معه، وتحدي المحقق واثبات أنها اقوي من الرجل. فالرجل في البعدين كان ماثل لها. إذن أين قضية الوطن والنضال من أجل الوطن؟

تناوب عليها المحققون الإسرائيليون بعدة أساليب من التعذيب في التحقيق، كالصفع على الوجه، الضرب على الرأس، ضرب الرأس في الحائط، شد الشعر إلى أعلى، الركل بالأقدام، الضرب بالكفين على الأذنين، الضرب بالكرباج على مختلف أنحاء الجسد، شتائم ومسبات بذيئة، الاهانة والإذلال، الحرمان من الطعام، الحرمان من النوم برش الماء وبتسليط ضوء قوي على

الوجه، الوقوف فترة طويلة والوجه إلى الحائط والذراعان مرفوعتان، دلق الماء البارد بعد جولة من الضرب، الحرب النفسية بالتهديد بالشلل والعمى، التهديد بإحضار أفراد العائلة، الاغتصاب، تعرية الجسد أمام المعتقلين.

لقد ذاقت عائشة عودة كل صنوف العذاب، حتى شعرت بأن روحها فصلت عن جسدها الذي أنهكه الضرب والتعذيب، إلا أنها لم تعترف ولم تنكسر، وبقيت صامدة على مواقفها. ولكن خبرتها بالحياة وبأساليب التحقيق الإسرائيلي جعلها تقع فريسة لحرب نفسية شنها عليها المحقق الإسرائيلي حيث أوصل لها تهديدا بالشلل أو العمى أو الجنون، وكذلك جلب زوجة أخيها وأمها للتعذيب، كما وضعها في غرفة تسمع فيها أصوات المعذبين.

وحين تركها في الليل لوحدها أخذت تفكر في هذا المصير، وكما تقول "حدث اختراق في جبهتها الداخلية"، وسيطرت عليها حالة من القلق والخوف من مصير بدأت ترتعد منه: "العمى أو الشلل أو الجنون أو كلها مجتمعة، ووقع ذلك على أمي، أصبح الخوف من ذاك المصير جرثومة أو فيروسا يقضم الأعصاب وإرادة التحدي، كأني لست المتحدية التي كنتها قبل لحظات."

وفي الصباح، وبعد ليلة عصيبة من الحرب النفسية، جاء المحقق وقال لها: "نحن اليوم سوف نشلك" كأن تلك الجملة أصابتها في مقتل. عندها قررت الاعتراف على العملية". والاعتراف في عرف التحقيق الإسرائيلي لا يكفي، بل الأهم ما بعد الاعتراف. هي اعتقدت بأنها إذا اعترفت سوف تتخلص من

هواجسها، ولم تكتشف أنها دخلت مرحلة جديدة من التعذيب لما بعد الاعتراف.

بعد كل هذا التحدي انهارت، إلا أنها أخذت تقدم لنفسها وللآخرين التبريرات عما فعلته بنفسها، ومن هذه التبريرات بأنه تحول إلى تحدّ لهم، بأنها كتبت في إفادتها أنهم محتلون، ومن حقنا أن نناضل من أجل حريتنا وحقوقنا، ومن الطبيعي أن نلقي عليهم القنابل لا الورود. أليس اعترافي هذا يوفر للإعلان عن وجود فدائيات كما الفدائيون، نعلنها للعالم، للأعداء والأصدقاء وأننا نشارك في النضال كالرجال؟

وتستمر فترة طويلة في محاسبة نفسها وتبرير اعترافها، وهي لم تنكر أنها تقوم بتبرير الاعتراف: "لم أبخل على نفسي في تبرير الاعتراف وتزيينه."

وحينما خرجت مع الجنود للتأشير على المكان الذي وضعت فيه القنبلة، ورأت العالم الخارجي، أخذت تراجع نفسها: "آه ما أجمل الحياة في الخارج، لماذا اعترف على نفسي لأحرم من الحياة؟ سأتراجع عن الاعتراف". إن قوة الحياة جعلتها تتراجع، بالإضافة إلى مشاهدتها (للسوبر سول) مكان الانفجار، إذ لم تره مهدما بل كأن شيئا لم يحدث فيه، فقالت لهم: "أنا لم ادخل السوبر سول هذا، وإنما اعترفت على العملية من أجل تخفيف الضرب عني."

وعادت إلى تلقي الضربات واللكمات والتعذيب الشديد، وبعد جملة من التعذيب عادت للاعتراف من جديد، فالجسد لم يعد يحتمل مهما ادعى

الإنسان قوة التحمل، وخصوصا حين اسقطوا من تفكيرها أنها لا تستطيع أن تثبت للمحكمة أنها اعترفت تحت التعذيب، ثم ضغطوا على حالتها النفسية بالتهديد بالشلل أو الجنون. كما استغلوا لهفتها على رفيقتها وصديقتها رسمية.

لقد اكتشفت عودة مدى سذاجتها من حالة القلق والخوف التي انتابتها على صديقتها، والتي لمسها المحققون الإسرائيليون وحاولوا استغلالها، بضرب رسمية أمامها لكي تعترف على مكان مخازن الأسلحة، وكان لهم ما أرادوا، فقد اعترفت لكي تحمي صديقتها من الشلل.

هل هي حالة إنسانية وتعاطف مع رفيقة وصديقة؟ أم سذاجة وقلة خبرة؟ أم ذكاء من المحقق الإسرائيلي؟ كلها مجتمعة تمثلت عند عائشة عودة، إذ ضحت بحريتها وبكل شيء من اجل صديقتها، ولكنها لم تدرك ذكاء المحقق لسذاجتها وقلة خبرتها، وبأنه لعب بعواطفها الإنسانية وبحالتها النفسية تجاه صديقتها.

لقد وضعت عائشة عودة نفسها في ندية خاسرة مع الرجل، في موقف يكون فيه الاثنين متساويان أمام الجلاد الإسرائيلي.

بعد أن أنهى الأستاذ ناهض عرض ورقته وقد أثارت عائشة عودة في أحلامها الحضور، فقرأها كلٌّ كما وصلته وكيفما رآها فكانت المناقشات ثرية وساخنة ...

*وكانت أولى المداخلات من الدكتور عون أبو صفية، بدأها بقوله: كل الاحترام والتقدير لعائشة عودة، ثم إني أرى الرواية من بدايتها عبارة عن تسجيل لتجربتها الذاتية الآنية، وتحمل مبالغات، فالتعذيب في السجن أمر طبيعي عاشه وعانى منه كل من سُجن، وأرى أن عائشة ضعيفة نفسيا. فالنفسية القوية تحتمل ما لا يحتمله الجسد، ثم إني لم أجد ما يبرر تسليمها نفسها فهو فعل غير مستحب، والأفضل لو فرّت من المكان لتواصل نضالها بدلا من دخولها السجن، ثم نجدها تختار التيار اليساري ليؤهلها للعمل بحرية بعيدا عن قيود المجتمع وعادته المحافظة.

*أما الدكتور اسماعيل بلبل فقال في البداية: أقول إن هذا الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية علينا أن ننظر له من زاوية أدبيته، أما النظر للتجربة الذاتية التي عاشتها من سجن وتعذيب وآلام وآهات وسجان وغيره فأقول إنه حتى الآن لدينا نحو ٦٠% من الشعب الفلسطيني عاش التجربة، وأنا واحد منهم. سجنت ١٨ مرة أولها عام ١٩٦٨م، وآخرها في عام ١٩٨٧م، مع إبعاد عشر سنوات لمرتين، وكل ما ذكرته الأخت عائشة في كتابها، من شبح وتعري وتعذيب وتهديد باغتصاب الزوجة وسجن أفراد الأسرة تعرضنا له في التحقيق، ورغم ذلك فإنه يُحمد لهذه المرأة أنها وقفت في صف الرجال دفاعا عن المبدأ والوطن والثورة، ودفاعا عن مبادئ هذا الشعب الجبار، وسواء أخطأت الأسلوب أو أصابت تظل الحاملة لشعلة النضال والثورة، وقفت لجانب الرجل تتحداه. والتحدّي ليس عيبا، فهي تريد أن تقول: أنا مخلوق

مثلك تماما وإلى جانبك لنبني الحياة معا، فالله سبحانه وتعالى قال: "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى". فالشقاء للرجل، وعائشة اختارت الشقاء فيها ونعمت تماما كالمرأة العاملة. فأصل الأشياء أن على الرجل أن يكد ويكسب المال لينفق على الزوجة والأبناء، والزوجة مسئولة عن تربية الأولاد، فنجدها تختار العمل لتشارك الرجل في تحمل الأعباء الاقتصادية، هل نرفضها؟ بالطبع لا بل نحمد لها صنيعها، ونقول لها: أنت امرأة محمود سعيك، ومشكور فعلك. لذلك أعجبتني عائشة وأعجبني سردها للسيرة. وهنا أتوقف عند محطات ثلاث: المحطة الأولى البحث عن الحرية. إن سفر أخيها واختباء ابن عمها جعلها تبحث عن الحرية في مكان آخر، فإذا كان الرجل ممثلا بأخيها يسافر بحثا عن الحرية ورغد العيش فهي تسافر بحثا عن الحرية من خلال بحثها عن الحرية الحقيقية حرية الوطن بنسائه ورجاله.

المحطة الثانية امتلاك الحرية، لابد أن نعترف أن مجتمعنا مجتمعا ذكوريا، يمنح الذكر الحق بفعل أي شيء ويُحرم على المرأة كل ما هو مباح للرجل، المرأة فيه محاصرة بقيود العادات والتقاليد، الحرام والعيب، ولا يحق للبنت أن تعترض، وعائشة واحدة ممن حاولن امتلاك حريتهن كما يمتلكها الرجل رافضة منطق أخيها وابن عمها وعمها الذي أتته بشهادة تفوّقها فأحبطها بقوله: بس لو انك ولد؟

كما أعجبني موقفها من الرجل لأنه لم يكن موقف الندية فقط، بل ندية المشاركة إلى جانب إثبات وجودها، فهي تمثل بنات جنسها، تمثل المرأة بفكرها الخاص. لقد فهمت المشاركة بالندية والتفوق، فهي تقول للرجل: إن كنت تعترف فأنا لا أعترف، وإن كنت تنهار مبكرا فأنا أنهار مؤخرا، لكن الكل يبني ويعمل لأجل الوطن، أنا أرى أن موقفها من الرجل جميل جدا.

المحطة الثالثة، وهي المحطة الفاصلة؛ وتمثل أحلام عائشة ما قبل عام ١٩٦٧م وأحلامها ما بعد عام ١٩٦٧م، إنها تمثل أحلام الأمة العربية جمعاء وليست أحلام عائشة الفرد.

أنا لم أقرأ الكتاب لكن من خلال العرض الممتع الذي قدّمه الأستاذ ناهض الذي يُحمد له أنه أعطانا فكرة مختصرة وسريعة وكاملة مثل السهل الممتنع، من خلال هذا الملخص شرح لنا أحلام الوطن متمثلة في أحلام عائشة، فنرى كيف أثرت مذبحة دير ياسين على نفسيتها ولها من العمر أربع سنوات، ما جعلها تنشأ على الرغبة في أخذ الثأر من سفاحي بني صهيون، كما أن خطابها لجلادها والمحققين الذين غالبا هم خبراء في علم النفس، هذا الخطاب المقاوم والجلد يدل على قوة عزيمة وقدرة على التحدّي.

أعجبتني عبارتها بأن الكف يستطيع أن يناطح مخرز إذا ما صفّحنا الكف بالحديد ليستطيع أن يواجه المخرز. عائشة قوية ولديها تصميم كبير ولا نهائي لكن يبقى البشر بشرا، فالتحدّي عند عائشة نوعان: الأول تحدي لندية

الرجل، والثاني تحدّي للمحقق والسجان والمُعذب، والمشكلة أنه هو الآخر رجل.

علينا ألا ننسى أننا نناقش كتابها ونحن خارج السجن ولو كنا نحيا نفس الظروف التي كانتها عائشة لاختلفت المناقشة.

نقطة أخيرة: أعجبني قولها عندما اعترفت حيث قالت: اعترافي يُعلن للعالم عن وجود فدائيات: "رغم أني اعترفت لكن حتى اعترافي يُعلن عن وجود فدائيات يبحثن عن الحرية ويُدافعن عنها". وهذا يؤكد أن المهزوم نفسيا يُحاول أن يُبرر هزيمته.

أخيرا أنا أُكبر شخصية هذه السيدة وأكبر شجاعتها وجلدها.

*السيدة آمال عبد المنعم بدأت مداخلتها بالشكر لصالون"نون" الأدبي، ثم قالت: بالنسبة لعائشة فأنا أحييها كامرأة فلسطينية مناضلة وأديبة استطاعت أن ترسم خطوات الرحلة للمعتقل فأبدعت الوصف، لقد عشنا تلك المرحلة التي تحدثت عنها عائشة وكنا نرى المرأة تقف فيها جنبا إلى جنب مع الرجل، وما قامت به عائشة هو نموذج لكثير من النساء، وأنا أحترم مسعاها إذ احتملت بتركيبها الجسمي الضعيف ما لم يحتمله الرجال الذين كانوا يدلون باعترافاتهم مع لحظات التحقيق الأولى، أما هي فصمدت فترة أطول قبل أن تعترف، ومع ذلك لا يُعتبر اعترافها قصور في همتها، وإنما صمودها لأطول فترة ممكنة هو جهاد، ولكن يبقى للمحتل أساليب ضغطه وتعذيبه التي لا يصمد أمامها من هم أقوى من عائشة. لست مع الرأي القائل بأنها ضعيفة نفسيا.

*الأستاذة إلهام فرح شاركت بقصيدة "طفل فلسطيني يتحدث عن والده الأسير:"

عنوان أبي في الوجدان = يسكن في روحي وجناني
أذكره في كل مكان= أذكره في كل زمان
فأبي من خلف القضبان= يتحدى قيد السجان
ما سار على درب هوان= ما لان لنار الحرمان
أقسم بالله الرحمن =بالبيت بكل الأيمان
ما غير فلسطين بديلا = في الأرض ولا وطن ثان
عنوان أبي ركب الأحرار= في هامته إكليل الغار
المشعل في يده إصرار= أبدا لا تخبو فيه النار
خلف القضبان هو المغوار= يتحدى الغاصب ليل نهار
لم يشرب أبدا كأس العار =لم يرهبه السيف البتار
كل الأسوار غدا تنهار =وتعود الأرض، تعود الدار
ويعود أبي، وعد الأقدار= (صدّق) مهما طال المشوار
عنوان أبي في الأغلالِ= لكنّ أبي ليس يبالي
أشتاق إليه نهارات= وأحنّ للقياه ليالي
وأنا طفل الغاصب لا= يفهم حس الأطفال
لا يفهم أني إنسان= لي الحق في وطني الغالي
لا ليس أبي إرهابيا =خسئوا فأبي رمز نضال

باسم فلسطين مضى للمجـــ=ـد يضيء طريق الأجيال
عنوان أبي لم يتغير =في قلب فلسطين مسطر
في التين وفى الزيتون وفي= تل الكرمة والزعتر
نادته الحرية يوما =فمضى ومضى لم يتأخر
وطن الأسرى وطن الشهدا=ء حماية الراية لن يقُهر
خلف القضبان عرين أبي= ما زال به أسد يزأر
سيعود أبي سيعود أبي= والوطن الغالي يتحرر
عنوان أبي كل بلادي =الجيل الشامخ والوادي
تعرفه كل زهور المرج= ويألفه الطير الشادي
في هذي الأرض ولدت أنا= وأبي من قبل وأجدادي
واليوم أبي خلف القضبا=ن يصارع بطش الجلاد
لا يخشى الغاصب يتحدّى= أسطورة أرض الميعاد
يرسم للوطن خريطته =ويخط وثيقة ميلاد

*الأستاذ إبراهيم النجار قال: كل التحية للأسيرة المحررة عائشة عودة، لكن من خلال ما سمعته أرى أن صراعها في الأساس هو صراع مع الرجل، وهي لا تريد المساواة معه بل تريد التفوق عليه، أنا ومن هذا المنبر الحر أنصح كل النساء وأقول: حذار حذار أن تتصور المرأة أنها في صراع مع الرجل، عليها أن تفتخر بالرجل وألا تقف موقف المجابهة والندية

مع الرجل، وعليها أن تشق طريقها بعيدا عن الرجل لأن معركتها ستكون خاسرة.

*الشاب محمود صرصور قال: كان يجدر بعائشة ألا تدخل البيت وتلقي بنفسها للتهلكة، وهروبها من الجند الذين حاصروا البيت لاعتقالها لا يعتبر ضعف، وإنما هروب تكتيكي لتواصل نضالها. هي تقول إنها اختارت المواجهة مع الاحتلال ورفضت أن تهرب وتختبيء. هنا بدي اقتبس من حديث سيدنا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح. عندما أتى عمر إلى فلسطين وقع فيها طاعون، فجمع عمر الصحابة وأراد العودة الى المدينة، فأتاه ابوعبيدة وقال له "يا أمير المؤمنين، أتهرب من قدر الله؟ فقال عمر: لو قالها غيرك يا أبا عبيدة. أرأيت لو أن لك غنم في أرض قاحلة، وهناك أرض خصبة أفترعى فيها؟ نعم نهرب من قدر الله إلى قدر الله. فالشاهد في الموضوع أنه لو كانت هربت واختبأت لترجع وتهاجم اليهود لما لامها أحد.

*السيد محمود روقة قال: لا أوافق ما طرح من نقد سلبي؛ لقد كان بإمكان عائشة أن تواصل تعليمها وتبقى بالبيت مرفهة تكون أسرة وتربي أطفال ولا تتجه لطريق النضال، وهي عندما تختار هذا الطريق الصعب إنما يدل على أنها اختارت بفكرها لأنها نشأت على حب الوطن، فكانت مذبحة دير ياسين المحرك الأول الذي أشعل في قلبها شعلة من النضال، فظلت تتحين الفرصة لمواجهة هذا العدو الذي صنع هذه المجزرة واحتل الأرض وشرد الإنسان.

أما موضوع الندية فأستطيع القول إنها أرادت أن توصل رسالة: رسالة للرجل ورسالة للمجتمع ككل بأن المرأة لا تختلف عن أخيها الرجل، فهي قادرة أن تعمل في كل الميادين كأن تكون معلمة وفدائية شريكة في النضال مثلها مثل الرجل، ورسالة أخرى توجهها لأخواتها ليحذون حذوها في النضال جنبا إلى جنب مع الرجل. أما عن تسليم نفسها فالمعروف لكل المناضلين أن خلايا كاملة كان يتم اعتقالها، هي لم تكن في مواجهة عسكرية وجها لوجه لتستخدم السلاح بدلا من تسليم نفسها، وأعتقد أنها لو هربت لأي مكان واختبأت به فماذا بعد؟ هل ستبقى في سجن طوعي؟ انتمت عائشة للفكرة القومية. انتمت للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ثم للجبهة الديمقراطية، ومن ثم للاتحاد الديمقراطي "فدا". وهذا يعني أن لديها تطور في الفكر الأيديولوجي والنضالي وهي فنانة تهتم بتنسيق الزهور.

*الأستاذ أسامة العالول قال: لابد أن نؤكد أننا هنا في صالون"نون" الأدبي وما أتينا هنا لنناقش قضايا عسكرية وتكتيكات سياسية؛ لدينا نص أدبي روت الكاتبة من خلاله تجربتها بمنهج أدبي كتبته بعد خمسة وثلاثين عاما، ولم تكتبها عندما كانت كل الأضواء مسلطة عليها عقب خروجها من السجن مباشرة، المرأة ناضلت مع الرجل، وبدأت تجربتها كمناضلة، سواء أصابت أم أخطأت تبقى مناضلة.

*وكانت مشاركة الشاعرة رحاب كنعان رسالة:

أمي، من خلف القضبان

رأيت ضفائرك تتدلى
من عيون الشمس
تبشرني بشموخ اللوز
مهما تجبر السجان
فها أنذا يا أماه،
أعانق طيفك،
أصنع عطرا لك
من حنايا أحلامي الموجوعة
وأتوق لأحضانك الموجوعة
وأتوق لأحضانك الموزعة
بين الأجداث والهناشير
لتضمد جراح سلاسل
تنصهر من لهيب أشواق
تنتظر يديك
لتلمس وجهي
بعد سنين الحرمان
فابتهلي يا أماه
بصلاة الفجر والضحى
نهوض الصهيل

ليرى معصما
رغم تقطيع أوصال الأرحام
وتكحيل أجفانها
ببقايا أضرحة
صنعت المجد
وشرفت سطور التاريخ
*للشاعرة كوثر العصار في ذكرى النكبة صرخة لاجئ
يا صرخة طير في المنفى = هل غادر نبضك عن حيفا؟
هل عينك نامت في البعد = هل أسكن صدرك ما أخفى
وسماء الشوق هل اشتاقت = لتداعب غصنك والطيفا
يا قلب غريب عن وطني = لأصبح بفجرك لا عزفا
لا شيء سوى دمع العين = ونسيم أشبعني رجفا
يا طيرا يرسل أحلامي = ويـردد أحلى الأنغام
لقرانا تبعث أشواقا = برحيق الزهر بأنسام
من دمع العين نما حلمي = من نزف القلب وآلامي
فلتنبت يا دمعي شعرا = لتعانق نزف الأقلام
لحروف الشعر متيمة = في المنفى تبكي أيامي
يا دمعة عين في البعد = يا جرحا في قلب اللد
أشتاق لبحرك يا يافا = لحكايا يرويها جدي

وأحن لبيتي في عكا = كي أسكن ما يخفي وجدي
يا رملة تكبر في قلبي = أحلام في عمر الورد
ما زالت تبحث عن دفء = يُنجيها من قرص البرد
يا صرخة حب يشتاق = وحنين يسري دفاق
حتما ستعود من المنفى = وتغني فيك الأشواق
تتراقص فوقك أنغام = ونسيم عذب رقراق
هل تمضي يا عشق الأرض= كي تهزأ منك الأعماق
وتودع آهات باتت=يبــكيها القلب والأحداق

واختتمت الأستاذة فتحية اللقاء بالقول: لقد التقيت بالأستاذة عائشة في العام ٢٠٠٥م حيث جمعنا مؤتمر المرأة المبدعة في رام الله، جلست معها وتحدثت إليها. إنها امرأة ناضجة وقوية إلا أنني رأيت مرارة الاعتقال ترسم خطوطها على ملامح وجهها، وكما قال الرسول الكريم: من اجتهد وأخطأ له أجر، وإن اجتهد وأصاب فله أجران.

ويبقى لعائشة شرف أخذ زمام المبادرة في قرار مصيري، وهو أن تتخذ طريق المقاومة سبيلا لحرية الإنسان والوطن.

**

وفي جلسة أخرى من جلسات صالون"نون" الأدبي لشهر فبراير من العام ٢٠٠٧م، قُدمت قراءتان لرواية بقايا امرأة للكاتب باسل ناصر، وفي تقرير الجلسة، التي افتتحتها الأستاذة فتحية صرصور قائلة: الحضور الكريم، أدباء ومثقفون، أبناء فلسطين

أهلا وسهلا بكم في جلسة جديدة من جلساتنا الأدبية، أبدأها بالتهنئة لأننا اجتمعنا بكم مرة أخرى، فحمدا لله على سلامتكم جميعا، ثم أدعو الله مخلصة أن تنعم أرضنا الطاهرة بالأمن والاستقرار، وأن ينعم أقصانا بالسؤدد والسلام، وأن ينعم مواطنيها بالسلامة والأمان.

أما بعد: إن الأحداث التي نتعرض لها أجبرتنا - آسفين- أن نعلق جلستنا في الشهر الماضي، ثم وقفنا في هذا الشهر نتأرجح في القرار بين التعليق والتنفيذ إلى أن عقدنا العزم وتوكلنا على الله لأننا نؤمن بأنه من عمق المعاناة ينبت الأمل، فلا بد أن نكبر على الألم، نضمد جراح أكفنا، ونلم شتات مواطنتنا وانتماءاتنا لهذا الوطن الأكبر منا جميعا، والأغلى على قلوبنا جميعا.

لذا رأت جماعة صالون"نون" الأدبي ضرورة مواصلة نشاطاتها مساهمة منها في الحفاظ على وحدة الدم، واللغة والمحافظة على مسيرة الثقافة التي بها تسمو النفوس وتتعالى على أضغانها لترفع هذه الجماعة وإياكم - عبر جلستها- الصوت عاليا قائلة لا للاقتتال، لا للفلتان، لا للخلافات فالوطن يتسع للجميع، وهو في قلب الجميع.

نجتمع اليوم لنستمع وإياكم لقراءتين لرواية بقايا امرأة للكاتب باسل ناصر، قراءة الأديب غريب عسقلاني، وقراءة الدكتورة مي نايف

رواية بقايا امرأة رواية تتناول الواقع الفلسطيني في مساحة زمنية شهدت النضال الفلسطيني، والمواطنة الحقيقية، كما تناولت الثورة والنضال والأسر في سجون الاحتلال، وتعرضت للخلافات الانتمائية مستشرفة الواقع الذي نحياه اليوم، لقد دق الكاتب باسل ناصر جدران الخزان حديثا تماما كما فعل غسان كنفاني من قبل.

الكاتب: باسل ناصر حاصل على بكالوريوس إدارة الأعمال من الجامعة الإسلامية التي كان لها حضورا واضحا في أحداث الرواية، وعلى درجة الماجستير في إدارة وتنفيذ المشروعات التطويرية من جامعة مانشستر في بريطانيا.

هذه الرواية هي باكورة كتابات الأخ باسل، جذبته الأحداث التي شهدتها الساحة الفلسطينية في مرحلة ما بين انتفاضتي الوطن فسطرها في رواية متحللا من إدارة الأعمال وإدارة تنفيذ المشاريع متسللا لعالم الأدب الرحب فدخله من أوسع أبوابه في روايته هذه، وإن كان الكاتب لم يدرس التقنيات الفنية للرواية والتي تحتاج للدراسة الأدبية والدربة، إنه بحر يخشى كثير من دارسي الأدب اقتحام عبابه، والسير في دروبه الشائكة إلا أن باسل خاض التجربة بثقة عالية وتشجيع الأهل والأصدقاء والأدباء، لذا كان من الأهمية بمكان أن نتناولها بالدراسة والنقد لا للمحاكمة أو لنقتنص هفوات تقنية هنا أو

هناك بل احتفاء بها وكاتبها، ولأنها تلامس واقعنا المعيش من ناحية أخرى آملين أن تكون رواياته التالية لهذه تجمع كل خيوط هذا الفن الراقي.

بعدها أعطت فتحية الكلمة للكاتب الذي قام بالتعريف بنفسه، والحديث عن تجربته، مع عرض سريع لأحداث الرواية فقال: ولد باسل عبد الرحمن ناصر في مخيم جياليا للاجئين يوم الأربعاء الموافق ١٥ فبراير ١٩٦٦. تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدارس بلدة بيت حانون. حصل في عام ١٩٩٠ على الشهادة الجامعية الأولى في إدارة الأعمال من الجامعة الإسلامية بغزة، وفي عام ١٩٩٣ حصل على شهادة الماجستير في إدارة وتنفيذ المشروعات التطويرية من جامعة مانشستر في بريطانيا.

بدأت حياتي المهنية بالعمل متدربا في وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين، وفي أكتوبر عام ١٩٩٤ انتقلت للعمل في المجلس الصحي الفلسطيني لمدة قصيرة، عملت بعدها مسئول للمشاريع في برنامج غزة للصحة النفسية وبعد ذلك عملت لمدة عامين تقريبا في مؤسسة الأمديست الأمريكية كاستشاري لبرنامج تمية المؤسسات، وعملت بعدها في وزارة التخطيط والتعاون الدولي آنذاك كخبير تخطيط وشاركت كمسئول فني في إعداد خطة التنمية الفلسطينية الأولى في عام ١٩٩٧. وفي عام ١٩٩٨ انتقلت لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي حيث ما زلت أعمل حتى اليوم كمسئول تخطيط وتطوير برامج.

كانت لدي منذ صغري عدة هوايات فقمت بممارسة الرياضة وخاصة كرة القدم والكرة الطائرة، والرسم وكتابة الشعر والقصص القصيرة. وتوقفت هذه الهوايات تقريبا في نهاية الثمانيات نتيجة للخروج لعالم المسئولية وضرورة التأسيس لمستقبل مستقر. وحتى ذلك الحين قمت بتطوير بعض الأعمال الأدبية كالأشعار البسيطة والقصص القصيرة.

ومع عودتي للكتابة قبل عامين شعرت بأن روحي تعود لي من جديد، أحسست بأنني قد وجدت شيئا ما بحثت عنه كثيرا فقد كنت أشعر دائما بأن شيئا ما ينقصني، بأنني فاقد لشيء ما لا أدري ما هو. بدأت أكتب، لا أدري ماذا وعن ماذا، كنت أعبر عن بعض ما يجول بخاطري من حزن وغضب ويأس لما آلت إليه أحوالنا، تأملت فيما أكتب فرأيته يشبهني، رأيته يشبه الكثيرين منا، يشبه غزة التي نذبحها كل يوم من أجل لا شيء، رأيت فيه وطنا ضيعناه كلنا وكلنا يدعي البطولة في تحريره أو العمل على تحريره.

بعدما أرهقني ما أكتب وأرهقته، حاولت تجميع هذه الأوراق وترتيبها، فظهرت أمامي صورة تستحق المزيد من العناية والاهتمام. بذلت المزيد من الوقت والجهد، وعرضت ما أنهيته على مجموعة من الأصدقاء الذين كان لتشجيعهم وملاحظاتهم الكثير من عظيم الأثر. وهنا لابد من تقديم كلمة شكر لكل من: رياض الحسن، باسل عليوة، معاذ الحنفي، حنان المصري، أحمد الوزير، رياض عبد العال، محمد العروقي، رامي العروقي. والشكر كذلك موصول لباسل المقوسي وزياد عبد الفتاح، على ملاحظاتهم وتشجيعهم.

وبعد نشر الطبعة الأولى التي أصر عدنان اسماعيل أن يتحمل نفقات طباعتها مشكورا، وصلني العديد من الملاحظات من أصدقاء وخبراء وكتّاب وأدباء، وقد حاولت قدر المستطاع أن آخذ ملاحظاتهم في الطبعة الثانية.

الرواية تدور حول شخصية إمرأة من غزة، هاجرت عائلتها بعد حرب فلسطين الأولى في عام ١٩٤٨ من طيرة الرملة لقطاع غزة، واستقر بهم الحال بعد عدة مراحل في مخيم جباليا للاجئين، ثم انتقلوا للسكن بغزة بعد هدم بيتهم في المخيم. والدها، عمل مع الفدائيين واعتقل لمدة طويلة وأفرج عنه عام ١٩٨٥ في صفقة تبادل الأسرى بين الجبهة الشعبية القيادة العامة وإسرائيل. فقدت أخوها شهيدا في الانتفاضة الأولى مما أثر جدا على وضعها النفسي وأغرقها حزنا خاصة وأنه قد كان أخوها الوحيد بالإضافة لأختين. مات أبوها بعد ذلك هما على وحيده. تعيش قصة حب قصيرة مع دكتور في الجامعة أثناء دراستها في كلية الآداب، تتزوجه وتنجب منه طفل بعد تأخر حملها عدة سنوات، وتنجب طفلا آخر بعد استشهاد زوجها الذي انضم لأحد التنظيمات. تتزوج مرة أخرى بعد غياب زجها بسنة، وتعيش تجربة قصيرة مرة للغاية مع زوجها الذي كان يعاني من مرض نفسي الذي يمكنت من إنهاء العلاقة معه بمساعدة صديقتها صفية الجزائرية وزوجها يونس العراقي. تقع في حب طبيب نفسي يعالجها لعد وفاة زوجها، وهذا الطبيب مسيحي ويصغرها بعدة أعوام، كان حبا مستحيلا، نشيت بسببه خلافات بين حبيبها الدكتور النفساني ووالديه، لكنها تتدخل وتعمل على إعادة علاقتهم لما كانت

عليه، وتبقي حبها المستحيل في قلبها. بعد تخلصها من زوجها الثاني تتعرض لصدمة جديدة حيث قررت المحكمة الشرعية رفع وصايتها على إبنيها، وصدمة أخرى لاكتشافها علاقة غير شرعية بين أمها وعمها الذي كثيرا ما أساء لهم أثناء وجود والدها في الاعتقال مما أدى لإصابتها بمشكلة نفسية حادة، تدور في الشوارع ترى الأشياء على غبر عادتها، وذات يوم تعثر الشرطة عليها ويتسلمها صديقها الطبيب النفسي وصديقتها الجزائرية الوحيدة. تقضي عدة أشهر قبل أن تشفى، وفي المستشفى تتعرف على العديد من النساء اللواتي يعانين أزمات ومشاكل نفسية واجتماعية، وأخيرا يتمكن محامي آخر من إعادة وصايتها على إبنيها، وتحصل على وظيفة في مستشفى الطب النفسي، وذات يوم تجد أمها على باب شقتها، وتتصالحان، لكن الموت يأتي لأمها عن طريق رصاصة أثناء اشتباكات مسلحة بين التنظيمين الرئيسين في الساحة الفلسطينية.

أود أخيرا أن أؤكد للحضور الكريم بأنني لا أصنف نفسي ضمن قائمة الكتّاب والأدباء، فأنا لست أكثر من متابع لما بدور من أحداث وتراجعات على جميع المستويات وأحاول أن أوثق شيئا ما منها، إما لمحاولة تشخيص بعض مشاكلنا ووضع حلول لها أو للتاريخ.

بعد أن أنهى الكاتب حديثه كانت القراءة الأولى للرواية من **الكاتب والأديب غريب عسقلاني** فقال: **امرأة في الحصار**

في روايته الأولى بقايا امرأة يأخذنا الكاتب إلى عوالم امرأة تدفع ضريبة الحياة في مدينة محاصرة تعاني من انفلات ضوابط الحياة، وتسير حثيثاً نحو الانقلاب السلبي بتدمير كافة المعايير والقيم والأعراف التي تأسست عبر نضالات أهلها وأخذت شرعيتها بتقادم الزمن والاختبار وتراكم الخبرة..

المرأة هي الصوت المعلن في الرواية، وهي في ذات الوقت الراوية، تعيش بطاقة التقاط أدق التفاصيل ومحاكمة ما يدور من حولها بوعي تأسس على التزام عميق بالقضية الوطنية والرغبة في الخروج مع شعبها من واقعه المرير، فهي ابنة مناضل غُيب في السجون الإسرائيلية لمدة ثلاثة عشر عاماً مذ كانت طفلة تحبو، ذاكرتها الأولى تحمل فرحة اللقاء بالأب أيام الزيارة، عبر مسامات الشباك لتراه تجاوراً لنقاط فضية تشكل كائناً رمزاً نعيش في مداره مع أمها الصبية الجميلة الصبور التي تعض على نواجذها، وتغلق على رغبات جسدها العفي وفاء للزوج ولأطفاله الذين باتوا أمامه عزيزة، فتقف بصرامة لأخيه ولا تستجيب لشهواته في جسدها الشاب الذي لم يحقق ارتواءً.

أول أفراح الفتاة كان بالإفراج عن أبيها في صفقة المحررين، كما الحلم يعود الأب، يخرج من بطن المؤبد على مساحات الحياة، ويصبح الرمز كائناً متاحاً، يمارس أفكاره وأبوته مع أسرته الصغيرة، يرى في صغيره جمال امتداداً، له غاية ما يتمناه أن يعوض من حوله الحرمان خاصة زوجته الصبور التي عانت الجفاف القسري الذي سحب أجمل وأبهى أيام العمر.. لكن الرغبة تقصف فجأة كما تُقصف الوردة لحظة تفتحها، ويسقط جمال شهيداً في

الانتفاضة فتأخذ الأب جلطة تصيبه بالشلل والذهول وكأنه قرر الانسحاب، صمت لسانه فامتطى عينين تائهتين على نهر من دموع ووجع..

تلك بدايات الأحزان لبطلتنا التي أخذت عن أمها الصبر والجلد، وعن أبيها الحياة في دائرة الوطن التي هي أوسع من مساحة بيت مثكول بعد أن فقدت الأخ/السند والأب/التاريخ.

مشاوير الحياة في مدينة محاصرة

في الجامعة الإسلامية تجذبها شخصية أستاذها علاء، بهدوئه وسعة علمه وكمال أخلاقه، تعيش معه زوجة محبة تعطي أقصى ما تستطيع وتتجاوز بوعي عن منغصات حماتها وإخوة زوجها الذين وجدوا فيها كياناً طارئاً لا يتناسب مع موقعهم الاجتماعي والاقتصادي، ومستوى ابنهم الذي تعلم في جامعات أوروبا.

الزوج الذي بدا لها ليبراليا مستنيراً يقف بصرامة أمام تشنجات بعض الإسلاميين في الجامعة، يتجه نحو هذه الجماعات ويأخذ موقعاً متقدماً ويدفع حياته ثمناً ويتم تفجيره داخل سيارته. لتجد نفسها وولديها في مواجهة الحياة في مدينة تعاني الانفلاش على كافة الأصعدة، حيث أصبح التجاوز قانون الوصول، وبات فيها عموم الناس يعيشون بطاقة الاندفاع الذاتي نحو الحياة في وسط ذهول يأخذ المدينة إلى الأفول وكأن في ذلك إرهاصاً لما ستؤول إليه الأحوال مع بطلة الرواية..

وسط الذهول وحصار أهل الزوج ومراوغة ومراودة أخيه على لحمها يظهر في حسان الذي وقف إلى جانبها وقدم لها يد العون وساعدها في العثور على وظيفة في المؤسسة التي يعمل فيها، ليتوج ذلك الزواج منها ورعاية الولدين، فتندفع هروباً من الواقع وترتبط به لتكشف ومن الليلة الأولى إنها مع إنسان مريض يعاني الفصام فهو في النهار ذلك الديمقراطي الذي يعمل في مجالات العمل الأهلي وحقوق الانسان وفي الليل وحش معبأ بشهوة الانتقام من كل نساء الأرض ينهش لحمها لدرجة الافتراس ويمارس شبقة وحيداً مع عضوه وإيماءات أفلام الجنس في حجرة نومه المستقلة،فهو لا يرى في الجنس أبعد من مكب نفايات في النساء.

شخصية حسان تأخذها إلى حافة الانهيار وفي لحظة قرار يأس تطعنه بسكين وتلوذ بصديقتها صفية وزوجها يونس اللذان يقفا إلى جانبها في محنتها، وعلى طريقه يونس الخاصة يتمكن من تخليصها من براثن حسان الذي تم إسعافه وإنقاذه من موت محقق فهل يكفي الانفصال لترميم ما تم تدميره داخل أرملة ومطلقة فشلت في زواجها الثاني،في مجتمع يلقي علي المرأة كل اللوم والقصور والجنوح، وكأنها مستباحة لكل الاقتراضات والتقولات شأنها شأن المدينة المستباحة في غياب منطق الحياة..

هل يتوقف الواقع عن رجمها..وكأنها الخطيئة في صورة امرأة..

كوة صغيرة لاحت لها طوق نجاة على يد عادل الطبيب النفسي الذي يقوم على علاجها وإعادتها إلى عيها من جديد، وتجديد ثقتها بنفسها ووضعها

وجهاً لوجه أمام الحقائق ما وتزويدها بالقدرة على عقد المقارنات المنطقية بين علاء الذي مر في حياتها مثل طيف وبين حسان نتاج بيئة أسرية رسبت فيه هزيمة غائرة تظهر فيه على صورة ذئب تتملكه شهوة الافتراس انتقاماً لأب مسكين من أم خاطئة وأخوات جانحات وأب طيب مخدوع.

علاء وحسان رجلان حفراً وكل على طريقته جراحا عميقة، أما عادل فقد فتح أمامها بوابات الدنيا من جديد وانفتح أمامها عاشقاً يأخذ خياره قافزاً عن اختلاف الدين ورغبات أبويه، وفارق السن واختلاف المستوى الاجتماعي، يعلن عن رغبته في الزواج منها..

لعل تجربة الحب الحقيقية هي ما عاشته مع عادل، ولكنه حب مستحيل محرم دينياً ومرفوض اجتماعياً ويسبب آلام لأناس وقفوا إلى جانبها، والأهم فإنها بذلك قد تدمر من تحب..لذلك ومن موقع الحرص عليه ترفض الارتباط به ما يجعله يدخل حالة إحباط تقود إلى الهروب مقدمة للاكتئاب..

السؤال هنا: **ألا تكفي هذه الهزات النفسية لتصديع امرأة الرواية؟**

وهل يكتفي كاتبنا بهذا القدر من الاضطرابات والنكسات لسحب ماء الحياة من بطلته..؟!

لعل الإغراق في السوداوية ورغبة الكاتب في طرح كل ما يؤرقه من قضايا وأسئلة جعلته ينساق للبحث عن احباطات أخرى..فأمها لا تستطيع االبقاء معها وتعود إلى بيت العائلة، وأحد أخواتها تتزوج وتسافر إلى الخليج

ولا تفكر حتى بزيارة غزة والأخرى تمارس هروباً من آخر بالارتباط برجل في عمر أبيها دون مبررات مقنعة..وكأني بالكاتب يريد أن يضع بطلته وحيدة مجردة من ابسط قواعد التدعيم الأسري.. وكأن الأسرة تمارس الهروب منها في صورة الهروب من المدينة التائهة، فهل غزة بيئة طاردة لهذه الدرجة؟!

ولعل أبشع ما صدع البطلة بالإضافة إلى سحب أولادها منها بعد أن كسب أهل زوجها قضية الولاية والوصية على الأطفال هو ما ضبطها لأمها وعمها في وضع جنسي فاضح يشي برغبة متبادلة.فهل قدمت الأم نموذجا موازيا لأم حسان! فكيف تكون ردة فعلها وهي رأت الفعل وكأنه الكابوس..

فآخر القديسين الذي لاذت به تسفح لحمها وتطحن تاريخ ظلت تعتصم به.. أي ملاذ.

لا ملاذ إلا فضاء أبعد من فضاء الحياة..أمام البحر تقرر لا إراديا الخروج من وعاء جسدها وتطلق روحها.. تسير خلفها بلغة أخرى بعد أن صار لسانها حطبة جافة تستعصي عن الكلام..

انه الهروب خارج الوعي في كنف صريح احد الأولياء الصالحين. تعيش مع تهويماتها في العتمة حتى تعود إلى الدنيا من جديد لتبدأ مشواراً آخر يقف على رصيد أجندة مؤلمة..

البيئة الروائية: ثلاث بيئات على ثلاثة مستويات بيئية كل منها يؤثر في الأخرى وتتداعى مع تداعياتها..

البيئة الغزية/الإطار وما تتعرض له من تغيرات بفعل المتغير السياسي الخارجي والمتغير الفلسطيني الداخلي وإفرازاته الفصائلية، الذي أدى إلى انزواء الهم الوطني في ظل الصراع الفئوي والشراهة في إثبات الذات من خلال الحضور العشوائي على الساحة، ما جعل التجاوز والمروق سمة تطبع الحياة في القطاع وأفسح مجالاً للطموح الفردي غير المشروع وغير المبرر عُملة متداول، الأمر الذي أوجد الانفلات والخروج عن القانون وأدى إلى انزياح القيم والمعايير والأعراف إلى قيم بديلة تنخر في جسد الشعب لدرجة تصدم الراصد لسرعة تواتر السلبيات وفي كافة المجالات. وما يعكسه ذلك على البيئة الاجتماعية التي تتحرك في فضاءاتها البطلة/ المرأة التي تلاقي الجور والعسف من التقاليد والأعراف التي تفترضها ملحقاً تابعاً للرجل ووعاءً لإشباع شهواته وغرائزه ونزواته، وظيفتها أن تبقى الظل السلبي له تدفع ثمن أخطاءه وتقديره المغلوط للقيم الاجتماعية والدينية وحتى الاقتصادية فكيف والأمر مع امرأة أرملة مات عنها زوجها (بغض النظر عن ماهية الزوج الراحل) ثم مطلقة فشلت في تجربتها الثانية (بغض النظر عن أسباب الفشل).

تؤثر تداعيات كل ما تقدم ذلك في البيئة الذاتية/ النفسية من خلال عصف يأتي مع ممكنات الصمود في غياب الروادع والضوابط ما يؤدي حتماً بالبطلة إلى الهروب من دائرة الوعي إلى دوائر عدم الإدراك بالعالم من حولها والذي يفسره الآخرون بالجنون وفقدان الرشد.

تلك محصلة تفاعل البيئات الثلاثة التي تشي مقدماتها بنهاياتها ما لم تتدخل عناصر وعوامل تدعيم تعيد الحالة إلى توازنها وهذا ما تقوم به الشخصيات البيضاء في الرواية المؤرقة بالهم العام والمقاتلة لدرجة الحلم بعالم أفضل.

وفي رواية بقايا امرأة تجاوزت البيئات الثلاث، وتفاعلت وشكلت منظومة علاقات كونت نسيجاً بيئياً فنياً مقنعاً يرتكز على معطيات الواقع ومصداقية الفعل، وذلك في تقديري يعود لقدرة الكاتب على استقصاء ما بعد الظاهر في السلوك الفردي والجمعي، ويعكس موفقاً فكرياً ينحاز إلى العدل والتصالح الاجتماعي بقدر ما ينحاز إلى الحرية الفردية في إطار منظومة اجتماعية وسياسة واقتصادية متوازنة تتساوق مع روح العصر وتتماهى من تضحيات الشعب الفلسطيني (غزة عينه عرض)

شخصيات الرواية: تقدم الرواية شخصيات غير نمطية تتحرك في فضاء معقد، وتستجيب لردود أفعال اتجاه ما ترسب في أعماقها من آلام أو تجارب، وهذا ما يحسب للكاتب، ولعل ما يحسب عليه انه ترك بعض الشخصيات الإشكالية عند الوصف الخارجي ما افقدها بعض الثراء وما جعل حضورها يشوبه بعض الجمود والغموض، ويمكن **تقسيم شخصيات الرواية إلى:**

١- **الشخصيات البيضاء:** أميل هنا إلى هذه الصفة عن اعتبارها شخصيات ايجابية، والبياض هنا يعكس شفافية نفسية وتوقد ذهني والتزام

بالحياة مدفوع بالطاقة الإنسانية الكامنة في الفرد تضيء عند الحاجة، مثل: **صفية الجزائرية:** ابنة الثورة الجزائرية التي تنحاز إلى يونس الصبي الفدائي مبتور القدم، العراقي الذي قاتل مع الثورة الفلسطينية وأنتمي لفلسطين قضية وشعبا، ولعل في شخصية صفية ويونس ثنائي يدعو للتأمل لماذا لم يكونا فلسطينيان، وهل يندر مثالهما بين الفلسطينيين العائدين؟ ولماذا حافظا على نقاء سيرتهما، وظلا في المساحة البيضاء ملاذاً حقيقياً للمتعبين وهما المتعبان المغربان عن وطنيهما الأم؟ ولماذا لم تثمر العلاقة ولداً أو بنتاً، هل هو عقم الانحياز أم هو حكم القدر، أم أن الأمر تأجل حتى يعودا إلى أرض الحلم حتى ولو جاء الولد بتكنولوجيا أطفال الأنابيب وقد توقعت تفعيل هذا الثنائي النبيل وبلورة موقفهما لا يعد من الممارسة الأخلاقية، وتمنيت لو اتخذ من بتر القدم وتأخر الإنجاب والغربة دلالات تنعكس وتضيء بعض جوانب المعاناة، لكن الرصد الواقعي وقف بالكاتب عن ظاهر التصرفات ولم يستطبنها.

الأب الأسير: بقدر ما أضاءت الرواية الأبعاد الإنسانية للأب داخل السجن بقدر ما كانت صورته باهتة غائمة خارج المعتقل، وكأني به عاش غربة من نوع آخر. هل كان ذلك لاستشعاره انفلات المعايير في أواخر الانتفاضة الأولى، أم هو الاكتفاء بما قدم؟

هذه الشخصية تنهار مع استشهاد ابنه جمال فتأخذه الزلزلة إلى الشلل الذي يأخذه إلى الموت.

لماذا لم يلتفت الروائي لشخصية الأب؟ربما لأنه انشغل بالنموذج الأساسي شخصية بطل القصة وما ستلاقيه من أحزان.

الزوج الشهيد علاء: الإعلامي المتخصص خريج الجامعات الأجنبية، ليبرالي النزعة مؤمن بالديمقراطية، يقف في وجه الممارسات المغلقة التي يمارسها البعض في الجامعة وينتصر.كنت أتوقع أن يشكل نموذجاً متجاوزاً للواقع من حوله، لكن المفاجأة هو انحياز مثل هذه الشخصية للتيار الأصولي وهو المؤهل لحمل أفكار مغايرة، لماذا لم يكن مستقلاً أو ميالاً لأفكار الطرف الآخر.. بدلاً من الإغراق في التدين لدرجة التصوف

حضر علاء أرض الرواية عاشقاً وغادرها زاهداً تاركاًَ خلفه مساحة من الأحزان وبحر الأزمات التي ستلاقيها زوجته فيما بعد..

عادل: الطبيب النفساني الخبير بخفايا النفوس ومكونات العواطف والشهوات، يقف على حقيقة البطلة، ويتعرف على الإنسان الساكن فيها فينجذب إليها لدرجة العشق والتمرد على واقعه الأسرى، والانفلات من الصورة التي حددها له أبواه، والتي رسمت معالم نشأته وقولبت مستقبله، فيكتشف كم هو محاصر في واقعة الأسرى، وحتى في مهنته كطبيب معالج محايد.

هذا الشاب الحساس ينحاز إلى خياره رغم اختلاف الدين والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والعلمي وفارق السن، وتأخذه حالة وجد رومانسية تتعارض مع كونه معالجا مدركا من لضوابط العلاقة مع مريضته.

ولعلي أتساءل ألا يكفي كل الفوارق وكون البطلة مريضة مظلومة طردتها معادلة المجتمع من دائرة الوعي، ليضيف إشكالية فارق الدين حجر عثرة تصنع من عادل دون كيشوت على نمط آخر خاصة وان إشكالية فارق الدين لم تطفو على نسيج العلاقات في غزه وان عبرت عن نفسها في بعض الحالات.

الشخصيات الرمادية: ولا أميل إلى اعتبارها ضداً خالصاً لتكون شخصيات سوداء لأنها في المحصلة ضحايا ظروفها:

* **العم** الذي يرواد الأم في غياب الزوج بدوافع الكبت والفقر، والرغبة في الإشباع أو الرغبة في كسر أنفه امرأة جميلة شابة اكتسبت مكانة أعلى لكونها زوجة أسير مناضل..

* **والحماة** المتسلطة هي ضحية أعراف وتقاليد تتسلط على الشرائح الفقيرة والجاهلة التي ترتكز على مقولات سالفة وتأولها تأويلاً أنانياً مثل "الولد وما ملكت يداه لأباه.." وهذا في مفهوم البعض ينسحب على كل من هو في حوزة الولد من مال وزوجة وأبناء. ولأن الأب المالك الأول ممن حقه أن يفرض أو يرفض لأنه صاحب الامتياز، وكم وددت لو أن المؤلف قدم إشارات تبرر تسلط هذه الحماة "ظاهرة في المجتمع الفلسطيني ولكنها لا تشكل مطلقاً عاماً" مقابل نساء أخريات يعتبرن زوجة الابن في منزله الابنة ومحبتها امتداد للوفاء والإخلاص للابن.

* **حسان** الشخصية الإشكالية التي يبرر المؤلف دوافعها بالنظر إلى كل النساء داعرات مارقات وان الرجل ضحية أزلية، لما ترسب في أغواره من حضور أبيه الذي كان يعمل في إسرائيل لتوفير تكاليف لحياة بينما الأم تمارس شهواتها وتدفع بناتها إلى الغواية. وهو الطفل المراقب يختزن التناقض فينمو شخصية تعاني من فصام حاد فهو المثقف المستنير الذي نهاراً والمستبد لدرجة القتل ليلاً، هذه الشخصية في نهاية الأمر ضحية الواقع العام، وانعكاساته على الواقع الأسرى الذي خلخل العلاقات العاطفية في الأسرة الفلسطينية عند بعض شرائح المجتمع الفلسطيني.

الواقع والواقعية الروائية: كيف يلتقط الروائي مفردات الواقع من حوله، وينظمها في كيان، روائي يكسب مصادقة المتلقي/ القارئ، وكيف تتم إعادة إنتاج الواقع إلى واقع فني على جغرافيا الرواية وخلق واقعاً جديداً يستمد عناصره من الواقع ويتجاوزه وهذا ما يفتح أول بوابات النجاح أمام العمل..

هل نجحت الرواية في ذلك وإلى مدى؟

في تقديري أن الكاتب حاول وإلى حد كبير معتمدا على وعي واضح بمفردات الواقع وطبيعة العلاقات ومنظومة الأفكار والقيم والأعراف السائدة، وما طالها من انزياحات وتصدعات في السنوات الأخيرة انعكس على الحياة الغزية بشكل عام، وصدع الدعائم الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وحتى الدعائم الأسرية والعشائرية، وعلى جانب آخر فإن كاتبنا يملك

قدرة تقصي أدق الأمور بنظرة علمية مؤسسة على معرفة وفرت له استقصاء الأبعاد النفسية لشخوص الرواية وخاصة شخصية المرأة/ البطلة التي تقمصها كراوية على امتداد العمل، ما اكسب العمل الدرامي تواتراً تصاعدياً مؤثرياً..

ولكن تجدر الإشارة إلى بعض الأسئلة اللازمة والملحة في هذا المقام منها:

أ - ما موقع الحكاية (الحدوتة) من الرواية، وهل تكفي الحكاية لإقامة صرحاً روائياً وهنا تبرز قضية سؤال الرواية، نخلف كل رواية سؤال مفترض يحاول الكاتب التعامل معه والإجابة عليه..فإذا انطوى العمل على السؤال بوضوح سار العمل حثيثاً نحو الاكتمال. وأعتقد أن رواية بقايا امرأة عرفت السؤال وحاولت ما استطاعت الإجابة عليه بنجاح.

ب- موقع الشخصيات وأدوارهم في الرواية.

الشخصيات المرافقة أو المكملة تلعب أدواراً لإضاءة صفات وأفعال الشخصيات الرئيسية. مع عدم إغفال مواصفاتها وطبيعتها وكم تمنيت على الكاتب مزيداً من التريث والتعمق في الثنائي صفية ويونس لإثراء دورهما، باعتبارهما نموذج يتجاوز الحالة، ويلتزمان بما يعتقدان، ولا يقف الأمر معهما على التعبير عن المساحة الإنسانية التي قدمها الكاتب.

ذات الأمر ينطبق على شخصية الأب في مرحلة ما بعد الخروج من المعتقل، حيث كانت الإضاءات على شخصيته محدودة، وأسباب زواج

الأخت من رجل في عمر أبيها وعدم عودة الثانية من الخليج، وربط ذلك بمؤشرات انزياح الأم نحو السقوط.

ج- **الحوار كأداة فنية وتقنية أساسية له شروطه**، فهو الذي يعمق الأفكار ويوصل الإشارات ويستدعي الأمكنة والأزمنة، ويؤثر على مواقع السرد والوصف ويتأثر بهما، لذلك فهو تقنية مراوغة يجب التعامل معها بحذر ودقة وإلا أخذت العمل إلى الترهل وتعدت على تقنيات فنية أخرى مثل التداعيات والمنولوج الداخلي والبوح، وربما تغري القدرة على إدارة الحوار الكاتب فتوقعة في أسرها ما يضعف البنية الروائية وقد وقعت بعض الحوارات في ذلك وكان من الممكن تقنيها وإسناد دورها لأدوات أخرى..

د- الحدث

هل كثرة الأحداث والصدمات دليل عافية في العمل الروائي أم هو هروب باتجاه تأكيد الأزمة، وهل يمكن دمج ما يقع مع عدة نماذج في الواقع وتحميله على الشخصية الروائية لتبرير الأشكال أو الأزمة؟

أعتقد أن ما تعرضت له البطلة الرواية يفوق قدرة الكائن الفرد على المقاومة والصمود ولذلك فإن زيادة عدد الضربات لا يؤكد بالضرورة عافية المضروب وإن أكد وحشية الضارب فالضربات التي نالت من البطلة كفيلة بتصديع أصلب البنى النفسية وخلخلة دعائم مقاومتها وصمودها.

فالأحداث في الرواية وسيلة من وسائل خلق الإشكالية التي تطرحها الرواية. وتمنيت لو وظف كاتباً بعض الصدمات والأحداث وتعمقها ووقف على درجها الاستجابة وأنماط ردود الأفعال

وهنا يقفز السؤال حتى لو كان النموذج مستمدا من الواقع فهل كل ما يحدث في الواقع يمكن رسمه كحدث روائي؟

وبعد: فبقدر ما أدهشني الرواية أمتعتني، أما الدهشة فقد كانت أمام العمل الأول، والذي تجاور الكثير من عيوب البدايات وقصورها، كما أدهشتني قدرة الكاتب على تقمص شخصية المرأة/ الرواية بحيث لم يظهر أو يقفز على امتداد السرد إشارات سارد ذكر/ رجل، وكأنه يؤكد مقولة إن" في رجل امرأة ساكنة فيه، كما في كل امرأة رجل ساكن فيها" وعلى ذلك استطاع كاتباً سبر أغوار البطلة بسلاسة ومنطقية، مع عدم إغفال الفيض العاطفي لامرأة تتعرى أمام ذاتها، ما يشير إلى كاتب على معرفة متعددة لا يقف عند ظواهر الأمور وإنما يغوص نحو الأغوار البعيدة..

والذي أدهشني لدرجة الفجيعة أنني رأيت غزة امرأة يتناوب عليها أبناؤهما سفاحاً ويصرون بقصد أو بدون وعي على بعثرتها وتشظيها وكأنها والبطلة توأمان، وكأن اقتراف الإثم بات غريزة مشروعة، ما يدق الأجراس عالية من الانهيار العظيم التي أرهصت به الرواية.

أما المتعة فكانت بمرافقة مبدع قادر على إنتاج اليومي العادي إلى واقع مني ينبض بأكثر ما تظهره الحياة، لأن الواقع بتشوهاته يقتل النبض الحقيقي

أو يغيبه عن العين، أما على الورق فإن سواد الواقع استبطن الألق الفني بالقدرة على التشخيص في بانوراما سوداء تضع المتلقي أمام الفاجعة فيدركه الذهول.

بعد أن قدَّم الأديب غريب عسقلاني ورقته قالت الأستاذة فتحية إنني من منطلق بث الأمل في النفوس ألتقط محطات مضيئة بدأت بتحرير الإنسان عندما خرج والد سلمى من الأسر مع صفقة تحرير الأسرى، وانتهاء بتحرير الأرض (سلمى) بالتحرر من سطوة الزوج المريض نفسيا ذو المزاج المتقلب والأطوار الغريبة في إشارة لاختلاف الفصائل والأحزاب، ثم قدمت لقراءة الدكتورة مي نايف والتي قالت: يريد كاتب هذه الرواية أن يقول باختصار وتكثيف وبالبنط العريض: إن غزة التي تحولت بعد أوسلو إلى سجن كبير، ها هي تتحول في الفترة الأخيرة من سجن كبير إلى مستشفى للأمراض النفسية والعقلية كبير أيضاً.

ثم قالت: في قراءة أولى لرواية (بقايا امرأة) للكاتب (باسل عبد الرحمن ناصر) والصادرة بطبعتها الأولى في أكتوبر ٢٠٠٦ عن دار الهاني الثقافية، كان أول ما تبادر إلى ذهني هو رغبتي في أن يهدي هذا الكاتب روايته إلى الروائي الكبير غسان كنفاني ليقول له هذا (ما تبقى لكم) بغزة في العام ٢٠٠٦.

وإذا كان غسان منذ العام ١٩٦٦ وفي روايته (ما تبقى لكم) قد رأى أنه لم يتبق لنا شيء بغزة في ذلك الوقت: فالوطن محتل، والأم بعيدة يستحيل الوصول إليها، والصديق لم يعد هو الصديق، والشقيق لم يعد هو الشقيق، وغزة لم تعد غزة، والزمان لم يعد هو الزمان. فإن باسل ناصر يرى في رواية (بقايا امرأة) وبالرغم من وجود (٤٠) عاماً كفارق زمني بين صدور الروايتين إلا أن الوطن ما زال محتلاً، وهو يسرق، والجدار يمتد، وكل ما فيه منهار من كل الجوانب. ولكن الانهيار الذي حصل في (ما تبقى لكم) كان قد أكد غسان كنفاني أنه ناشئ عن احتلال فلسطين من قبل الاحتلال الصهيوني بعد عام ١٩٤٨وتمدده في العام ١٩٥٦. أما في هذه الرواية والتي تعتبر رواية انتفاضة الأقصى يريد الكاتب أن يؤكد فيها أن الانهيار في غزة ناشئ عن فساد داخلي مستشر ومستحكم، ويريد أن يقرر أن هذه الانتفاضة تختلف عن السابقة انتفاضة عام ١٩٨٧، الانتفاضة الأولى التي قال عنها الكاتب إنها:" جاءت من رحم المعاناة، ولم تأت بقرار من هنا أو هناك، أدارها الناس، كل الناس، ورغم بساطة الإمكانات ومحدودية الموارد. إلا أنها قد أعادت للقضية الفلسطينية زخمها ووضعتها على رأس سلم أولويات العالم أجمع".ويتساءل "كم من انتفاضة سوف تمر والحلم الفلسطيني البسيط والمشروع في الحرية يبقى دون أن يتحقق."

رأى باسل أنه لم يتبق شيء في غزة، لقد باتت غزة بقايا ولذلك كان عنوان روايته (بقايا امرأة). وهو يتساءل من الذي أوصل غزة لهذا الحال "

هم بجبروتهم، بطغيانهم، ببنادقهم، ببساطيرهم، بطائراتهم، بدباباتهم، برصاصهم، بظلمهم، بقهرهم، هم بتدميرهم بيوتكِ وأشجارك، بقتلهم لأبنائك، باعتقالهم، بنفيهم، بحصارهم الظالم، بتجويعهم لأهلك. أم نحن بكل تلك الفوضى والأنانية التي دبت في أوصالنا، وبقسوتنا على أرضكِ وبحرك وهوائك."

في هذه الرواية الأم لم تعد أماً حيث خانت الأسرة حتى في ظل حياة الأب ولقد كانت خيانتها شديدة حين جعلها الكاتب مع أحد المحارم وهو شقيق الزوج، بل وبقيت على تلك العلاقة غير المشروعة معه حتى بعد وفاة زوجها. والعم لم يعد هو العم ولم يعد الشقيق فلقد خان أخاه مدة أسره وبعد وفاته. وأخو الزوج لم يعد الأخ المهتم بمصلحة أرملة أخيه وأبنائها فهو يتمناها لنفسه.

وغزة باتت تسير بلا هدف، لا أحد يعلم إلى أين تسير: أداء المؤسسات الفلسطينية الرسمية الأمنية والمدنية في تراجع، لا يوجد قانون، السلاح والرجال هم القانون، الفوضى في كل مكان، الأمور تبسط إلى درجة التحقير، العائلات متعنترة، الناس عاطلون عن العمل، معدلات البطالة والفقر في ازدياد، التسول، والغش، والسرقة، اللصوص الذين يتباهون بسرقاتهم، والظلم، والأنانية منتشرة، الجميع مسلح، الأمن غائب، الشرطة لا تعاقب المخطيء ولا تسأل المسلحين عن الأسلحة، كل من يحمل سلاحاً في الشارع يستحق وظيفة، لا يوجد تفريق بين التعددية الحزبية والتعددية

الفصائلية العسكرية اللاسياسية، البوصلة تعطلت، تكاد تختفي الراية الفلسطينية بين الرايات الخاصة بالمنظمات والكتائب المختلفة. الانضمام للكتائب العسكرية بات وسيلة مكابرة اجتماعية ومصدر للرزق. الشهداء ما عادوا شهداء فلسطين بل شهداء الحركات. حتى الأطفال الشهداء أصبحوا ينسبون إلى الحركات. النضال الفلسطيني لم يعد ناجعاً إعلامياً، القتل في كل يوم، والكل يعرف القتلة، لكنهم دائماً مجهولون. يتم إحصاء الجرحى والشهداء والتفاخر بالعدد. الناس تقف احتراماً للفاسد وتنعت ذوي الأخلاق بالهبل والمساكين. خطف وسرقة وترهيب والكل لا حول لهم ولا قوة. كل جهة تسيطر على بعض المساجد، ومع ازدياد عدد المساجد إلا أن الفساد والنفاق والجرائم في ازدياد. والفرقاء غير متوافقين على برنامج سياسي فلسطيني موحد تحشد له كل قوى العالم.ولم تعد الانتفاضة تخلق المزيد من عوامل الصمود، أما الوحدة فالكاتب يقول. " وحدتنا كلامية وخجولة، مرشحة للانهيار عند أية هزة خفيفة. الوحدة بحاجة لتعزيز في النفوس وتطبيق في الممارسات، وليس صياغة للبيانات وإطلاقاً للشعارات."

والبيئة ملوثة بالقاذورات، فالبحر ملوث بأشكال التلوث من المياه العادمة وغيرها، النفايات تحرق في الشوارع، والجدران تملؤها الشعارات، ورائحة القاذورات النافذة باتت هي الشكل اليومي لغزة، سيارات الأجرة بلا ضابط أو قانون، الإشارات الضوئية لا تحترم، الكارات تشوه المشهد، لا

يوجد متنزهات، البسطات على الأرصفة، الشارع ملك لمد يحده، وهدم الآثار لم يعد يتنبه له أحد.

أما المرأة ففي غزة تشعر المرأة بالغربة كما قالت سلمى "بالرغم من أنها تمثل أكثر من نصفه وتضحي بولدها وزوجها وبيتها ومستقبلها بقلبها وبعمرها تجدها مثل قطعة من أثاث البيت وديكوره تجدها مصدراً للتباهي، ووسيلة للمتعة واللذة وإطفاء الشهوة، أو خادمة لتربية الأولاد وتنظيف البيت أو مصدراً للرزق وتحسين الدخل."

وفي غزة ما عاد الأخ يحب أخيه ولا الابن يحترم أبيه. الكل تطاير من عينيه شرر الكراهية والشر، ممارسات المواطن أصبحت مجنونة تفتقد القيم والمثل، الفوضى والجهل والانحطاط السلوكي والقيمي منتشر. ولذلك يتساءل الكاتب على لسان سلمى، أين ذهب أهلك الطيبون يا غزة؟

من أجل كل السابق اعتبر الكاتب زياد عبد الفتاح الرواية:" نص فادح يزيح الستار قليلاً عن نسيج بالغ التعقيد والخراب. لعله كان جريئاً إلى حد ربما يثير حفيظة الذين أرادوا لهذا المجتمع أن يكون فوضوياً ونائماً كامناً على أمراضه وعلاقاته الاجتماعية التي تفضح دواخله وعالمه السفلي."

أما الشرفاء (الطيبون) فلم يعد لهم وجود وهم الذين تمثلوا في الرواية بالأب يوسف راحل الطيراوي الذي هجّر وعمره ست سنوات مع أسرته حين هاجر والد يوسف من الطيرة قضاء الرملة تحت قصف العدو الصهيوني على رؤوسهم حيث هاجر ١٥٠٠ فلسطيني إلى رام الله والخليل، فهاجر مع والده

إلى اسدود للبقاء بصفة مؤقتة ثم العودة. بعد ثلاثة أشهر هاجروا مع أهل اسدود إلى جباليا في غزة. ومع تبدل الحال عليه من الخير والنعمة إلى الفقر لم يستطع والده الاحتمال فمات حزناً وهماً. وربت أم يوسف العملاقة كما وصفها ابنها الأبناء حيث بنت لهم سكناً في جباليا عاشوا به عشرين عاماً حتى هدم اليهود ذلك البيت بحجة الأمن ليشتروا بيتاً صغيراً في شارع يافا في غزة.

تم أسر يوسف في ١٥ حزيران من عام ١٩٧٢ في سجون الاحتلال، حيث كان يترأس مجموعات للعمل الفدائي في قطاع غزة. وكان شعاره في الحياة " خذوا من عمري وامنحوا وطني، خذوا من دمائي واسقوا ترابه، خذوا سعادتي وخففوا شقاءه". حكم بالمؤبد ليخرج بعد (١٣) عاماً يوم تحرير الأسرى في صفقة تبادل الأسرى بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة وإسرائيل عام ١٩٨٥، ولم يعجبه بعد ذلك اتفاق أوسلو وكان موقناً أن الانتفاضة هي السبيل لإنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية والعودة إلى طيرة الرملة.

والأخ جمال راحل الطيراوي الذي قرر أن يسير على طريق والده في النضال، فما أن بلغ الخامسة عشرة من عمره حتى أصبح يشارك في المظاهرات والأعمال الوطنية وينسخ البيانات. مما أدى إلى استشهاده بعد عام من خروج والده عندما كان يرجم مركبة مصفحة بحجارته الصغيرة عام ١٩٩٠. الأمر الذي جعل الأب يموت بعد خمس سنوات من خروجه من الأسر كمداً عليه حيث ضم صورة ابنه ومفتاح بيتهم في الطيرة الذي ورثه عن أبيه، وكان

يقول: هذا حق، ولا يضيع حق وراءه مطالب، طال الزمن أم قصر، شاقت الدرب أم سهلت". ثم رفض الطعام والشراب إلى أن رحل.

والزوج علاء إبراهيم من دير البلح المتفوق في دارسته مما جعله يحصل على منحة لدراسة الماجستير في الولايات المتحدة الأمريكية، ولتميزه عينته الجامعة معيداً وخلالها عمله بها حصل على الدكتوراه، واشتغل محاضراً في جامعة غزة، في طلته هيبة الأمراء، وفيه حياء النبلاء. أعجب بسلمى طالبته التي لم تعره اهتماماً كرجل، فأغرم بها وتزوجها في عام ١٩٩٣، وأنجب منها ولدين بعد تأخرا قليلاً في الإنجاب، وأمه تلح عليه أن يطلقها ليتزوج من امرأة ولود، لكنه يصر على التمسك به. وبعد عامين من زواجهما لاحظت سلمى اتجاه زوجها نحو التدين وانتماءه في الانتفاضة إلى تنظيم معين، ثم تفكيره في عمل عملية استشهادية ضد الاحتلال، فما كان من الاحتلال وعبر جواسيسه إلا أن عملوا على تلغيم سيارته ليخرج وتنفجر به السيارة مخلفة جسده أشلاء عام ٢٠٠٢. وهي نهاية تذكرنا بنهاية غسان كنفاني، الذي تناثر جسده في حديقة بيته، ونهاية الكثير من المناضلين والشخصيات المثقفة والوطنية التي استشهدت بنفس الطريقة. كان قلم علاء كما قالت زوجته "أخطر من البندقية، فكلماته كانت تؤلمهم أكثر من الرصاص، لذلك أرادوا القضاء على رسالته، فقتلوه."

مات زوجها، وأخوها، وأبوها ثلاثة رجال كان من الممكن أن يحموها ويدافعوا عن شرفها ولذلك باتت (سلمى/غزة) نهباً لمن يريد أن يستبيحها.

بنى باسل روايته ليكون الراوي فيها امرأة وتكون زاوية الرؤية عنده من خلالها. لقد كانت تلك المرأة (سلمى راحل) ابنة الطيرة اللاجئة التي تعيش في غزة مع أسرتها، ولدت في عام ١٩٧٢، وتصادف يوم حصولها على الثانوية العامة مع استشهاد أخيها. لتلتحق بعد ذلك بكلية الإعلام في جامعة غزة - والتي يبدو أنها الإسلامية مما يوحي من وصف الكاتب لها- وهناك ستتعرف على علاء وتقترن به، وبعد استشهاده ستعمل صحفية، وهي التي تؤمن بنزاهة الصحافة وحريتها فتطالب في مقالاتها بالحرية الشخصية، وإن كانت لا تحب المجاهرة بالتدخين للمرأة ولا تحب المرأة التي تستخدم جسدها في كسب قوتها، فتبيع جسدها وطهرها وأنوثتها وأخلاقها من أجل لقمة العيش. وتطالب بالقضاء على الفساد فتعمل في صحيفة ولكن (أبو غسان) مديرها في العمل والذي يعمل ضابطاً في جهاز أمني. أراد مساومتها أو الانتقام منها بسجنها على مقال تم التلاعب به من قبله قبل نشره، ثم فصلها.

إن سلمى من وجهة نظري هي غزة ذاتها، فلقد كانت رمزاً وظفه الكاتب ليصور من خلاله غزة. ولقد أجاد في استخدام لغة المرأة سواء في المفردات التي استخدمها لها أو التراكيب أو الصور. حتى جعل المتلقي يتبادر إلى ذهنه أحيانا أن كاتب تلك الرواية امرأة كما ذكر الكاتب الكبير زياد عبد الفتاح في مقدمته للرواية حيث اعتبر هذه الرواية نصاً محيراً.

ربما الكاتب بحكم ثقافته وموهبته أقام هذا الرمز حتى دون أن يكون مدركاً له تماماً وإنني لا أتفق مع زياد عبد الفتاح في أنه كما قال:" ربما لو أنه

على دراية أكبر بالرمز والرمزية في الأدب وبخاصة في النص الروائي. إذن لكان غاص أكثر في العمق ولقام بتعرية أكبر لمجتمع يحتاج إلى صوادم حتى يفيق على هوله، ولكي يصلح من شأنه الذي يتجه به نحو المجهول أو إلى الهاوية."

نجح الكاتب في تبسيط اللغة وفي الاستطراد وفي كتابة التفاصيل وتفاصيل التفاصيل أحياناً وكل ذلك يتناسب مع شخصية المرأة. وأنا لا اعتبر ذلك عفوياً أو أنه من مميزات كتابة المرأة، بل إنه أسلوب الكاتب باسل الذي أجاد في استخدام اللغة التي تتناسب مع شخصية الراوية (سلمى راحل/غزة) والتي كانت هي الراوي العليم بكل شيء فغزة هي خير من تتحدث عن نفسها فيما يتعلق بالمكان أو الزمان أو الشخصيات التي تعيش فيها. وهي الأقدر على التحدث عن أحوالها، والظروف المحيطة بها، وهذا ما جعل الرواية تتجه باتجاه الواقعية أكثر. إن بناء الرواية على لسان (المرأة/غزة) ساعد كاتب الرواية في إقناع المتلقي وكسب ثقته فيما أخبره به عن غزة.

ولم أقتنع كثيراً في أنه حين جعل روايته على لسان المرأة فقد انصف المرأة وهكذا بل لقد أنصف غزة بلغته التي ستستمر معه في رواياته القادمة كما أتوقع. وليس كما قال زياد عبد الفتاح "أظن أن قيمة النص تنبع من كونه نصاً ينصف المرأة، يقف إلى جانبها ويحنو عليها ويهتم بمشاكلها، هذا خروج عن النظرة العامة في مجتمع يؤخر المرأة حتى في المشي خلف الرجل". ولعل الكثير من الكتّاب أجادوا في التحدث عن المرأة حتى أقنعوا المرأة بأنهم

يتحدثون عنها بأفضل مما تتحدث هي عن نفسها وقضاياها، ولنا في إحسان عبد القدوس ونزار قباني وغيرهم الكثير خير مثال على ذلك.

قسم الكاتب روايته إلى ثمانية فصول: بدأت بـ(من وحي غزة)، (صفية ويونس)، (أبي وجمال)، (علاء)، (عادل)، (حسان)، (خارج الحياة)، (بداية ونهايات). بدأت الرواية في عصر ذلك اليوم حين التقت (سلمى راحل) مع طبيبها النفسي بعد عدة شهور على بداية علاجها النفسي معه، وانتهت في الفصل قبل الأخير (خارج الحياة) مع انهيارها حيث أصبحت فعلا خارج الحياة واستيقاظها على يد ذلك الطبيب النفسي وهو يعالجها من حالة الانهيار النفسي الكامل والتي كانت قد وصلت إليها. ثم بدأ معها بإعادة التأهيل حتى تتمكن من العودة إلى الانخراط الطبيعي في المجتمع. وكان الأجدى لو أنها انتهت الرواية في تلك المنطقة حيث ستعود بالقارىء للبداية، وما الفصل الأخير (بداية ونهايات) إلا عبارة عن ارتداد على النهاية. ولذلك كان ذيلاً وأخذ يمتد وكان الأجدى بالكاتب بعد أن وصل للذروة التي قادت إلى بداية الرواية أن يعمل قطع مباشرة لا أن يستطرد في غير داع. الفصل الأخير من وجهة نظري ليس إلا بذرة لرواية أخرى تحكي عن مجموعة من النساء المريضات نفسياً ونوعية المرض النفسي والتجارب المؤلمة التي أدت قادتهن ليصبحن نزيلات مستشفى الأمراض النفسية. وستكون جميلة لو أن الكاتب استثمرها في كتابة رواية جديدة بعد ذلك هي رواية تلك النزيلات.

بدأت الرواية من وحي سلمى التي كانت تحدث طبيبها النفسي عن الصدمة والاكتئاب والضغوط النفسية وحالة الهذيان وما يشبه الغيبوبة التي كانت تعيشها نتيجة التجارب المؤلمة التي كانت قد أدت بها إلى حالة من الانهيار العصبي التام الناتج عن الاكتئاب الحاد الذي أصابها فأفقدها الوعي والسيطرة، مما أدى إلى خروجها عن السياق. وهذا ما يريد الكاتب أن يبدأ به وهو حال غزة في ظل الفلتانات بأنواعها وقد انهارت بعد أن بات أهلها مرضى عقليين أو نفسيين وصلوا إلى الجنون إن شئتم بأعمالهم التي لم تعد معقولة على كل الأصعدة.

صور الكاتب كل شيء في حياة (سلمى /غزة) قد تراجع واختلف ولم يتبق شيء لذلك كان لا بد من أن يكون هناك حل تماماً كما كان يفعل غسان في رواياته والتي مثلت المراحل المختلفة للنضال الفلسطيني حيث كان يضع الحل والرؤية المستقبلية لكل مرحلة. كان الحل عند غسان في (ما تبقى لكم) يسير في خطين متوازيين، خط اقترح فيه الكفاح المسلح من خلال تصويره (حامد) يطعن اليهودي في صحراء النقب، وأخته (مريم) في غزة – الخط الثاني- تطعن (زكريا) العميل الذي أسقطها في يوم من الأيام. ليعلن غسان كنفاني أن الرجل والمرأة ويداً بيد لابد أن يقودا الكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن من المغتصب والعملاء في آن واحد وتنظيفه من كل إفرازات الاحتلال ومساوئه.

وبالرغم من أن الكاتب قد صادر حق المتلقي من المقدمة في أن يتخيل أو أن ينطلق في تحليل روايته ليصل إلى الحل حين كتب " في هذه القصة لا وجود لإجابات واضحة، لكنها ترسم بعض الصور للتراجع والتشوه والأمراض التي أصابتنا، تضع أصابعنا على بعض أسباب الألم، وتترك لكل ذي شأن أن يضع الإجابات التي تتناسب وضرورات الدخول في حالة إنقاذ ملحة ومصيرية". فأنا لا أتفق مع الكاتب فلقد كان الحل هو ما اختارته (سلمى/ غزة) من حل لحياتها وذلك بعد وفاة زوجها الأول الوطني المثالي، الحب السرمدي والوجع الأبدي، كما قالت.

بعد استشهاد علاء عام ٢٠٠٢ في انتفاضة الأقصى تكالب على استباحة الأرملة (سلمى/ غزة) عدة شخصيات: (سالم) الأخ الشقيق لزوجها والذي عرض عليها الزواج بعد أن رفضت أن تقيم معه علاقة غير شرعية. ولما رفضته هددها بأخذ الأولاد منها(أحمد المتسرع المزاجي وعلاء الصبور الذي لم ير والده حيت قتل زوجها وهي في الشهر السادس).

و(عادل) الطبيب النفساني النصراني، الإنسان الجيد وحيد أبويه والذي طرده والده من المنزل عندما علم أنه سيتزوج مسلمة.

أما (حسان) والذي تقرب منها حتى قررت أن ترتبط به بعد عام من وفاة زوجها لفترة قصيرة وقاسية لتكتشف أنه إنسان يعاني من حالة نفسية، جعلته سيء الخلق منحرفاً متطرفاً في كل جوانب شخصيته حتى في تدخينه، مزدوج الشخصية يظهر في النهار بشخصية مختلفة عن الليل. لقد كانت

تجربتها معه كابوساً يؤرقها، وسيف مسلط على رقبتها، لكنها في الوقت نفسه منحتها دافعاً على الاستمرار.

لقد كان الحل من وجهة نظر (سلمى/غزة) بعد فقدها زوجها الأول هو: رفض شقيق زوجها(سالم) حتى وإن كان سيأخذ منها الأولاد (أحمد وعامر)، ورفض النصراني (عادل) الحساس القوي الرقيق المتواضع الحنون صاحب الخلق المثقف الوسيم الصامت، وأي حل يسيء للعلاقة بين المسلمين والمسيحيين، حيث لم توافق على الزواج منه بل وعملت على إصلاح ذات البين بينه وبين أسرته وحافظت على علاقتها الجميلة مع أسرته النصرانية. فقد قالت سلمى " أريده في حياتي، ولا أريده لي" ولكنها وجدت أن الحل مع المتطرف سيء الخلق لا بد أن يكون حلاً جذرياً، ولذلك لجأت إلى طعنه بالسكين وكأنها تريد أن تقتل كل أشكال التطرف والفساد وأن تحتكم إلى المحاكم والقانون التي رأت أحقيتها في الوصاية على إبنيها. وكأن الكاتب يريد أن يقول إن الحل لن يكون إلا بسيادة القانون وإحقاق الحق، فهو الذي سيعيد أهل غزة إلى غزة الأم الحنونة.

لم يترك الكاتب (سلمى/ غزة) منهارة بل جعل لها من تلك الحالة التي وصلت لها دافعاً قوياً نحو تقييم تجاربها وإعادة صياغة نظرتها للحياة بشكل عام.

هذا وركزت (سلمى/غزة) على أهمية البعد العربي المتمثل في صديقتها صفية الجزائرية التي كانت تقول في الجزائر إن الحياة صعيبة أي(صعبة) ولكنها "بعد ست سنوات في غزة تكاد تجزم بأن غزة أصعب من الدنيا"

وزوجها يونس العراقي الجنسية والفلسطيني الهوى، الذي انضم منذ عامه الخامس عشر إلى صفوف الثورة الفلسطينية وفقد قدمه اليسرى في معركة الشقيف أثناء اجتياح لبنان عام ١٩٨٢، بعد حصار بيروت والخروج منها ذهب مع المقاتلين إلى الجزائر، وهناك تعرف على صفية وتزوجها، ومع عودة المقاتلين إلى غزة عادا معهم ولم ينجبا. وهي تؤكد من خلالهما على وقوف العرب مع الفلسطينيين، والتجائها إليهم كلما ألمت بها ضائقة.

وكما عادة المثقفين من رواد صالون نون الأدبي، تفتح الرواية - وما قيل فيها وعنها - شهيتهم للحديث والحوار الراقي، ونكتفي منه بقصيدة مهداة لأسرى الحرية في معاقلهم ألقتها الشاعرة إلهام ضاهر قالت فيها:

يا خوي يللي بسجنك قاهر الزمان، يا خوي يا فارس ما تهزه قضبان

كيف انت يا خوي وايش أخبارك- كيف رفاقك سعدات ومحمد ومروان

أما أحنا يا خوي ما عليك مدسوس، أخبارنا فيهي الزين وفيهي المدسوس

أبوك من الثمانية وأربعين وعزيمته ما تلين، يقلعوا له شجرة يزرع خمسين

ما انت عارفه فلسطيني الجنسية راسه يابسة وزنوده قوية

وأمك يا فارس من أيام أيلول على نار هالكانون

السبحة في إيديهي تذكر الله وتتحسر عالبلاد، عالناصرة والقدس وعيلبون

وتقول ساق الله عاكروم العنب وريحة الحنون
وأختك تحرير جاهي عدلهي جوزناهي جارنا اللي تصاوب في الانتفاضة
الأولية
والله طلعت أصيلة هالبنيّة
قالت آخذه ولو أنه مبتور، جرحه شرف وفي القلب محفور
وعندي بشارة يا فارس تفرّح قلبك المهموم
البارحة جاك مولود - بدر بليلة الكمال، شبهك بالتمام سميناه كنعان -
كنعان ولد فارس الفرسان
قرينا له قرآن باسم الله يحيي وباسم الله ينصان، يكبر في حياتك ويحرر
الأوطان.
كلهم بخير - ما عداي يا خوي - يا سند ظهري، يا بعد عمري، يا
شيال الهموم، همي كبير ما تشيله جبال واطيقه سنين
هم المواطن يا خوي وِرْثة أجدادنا ومربض أوتادنا،
أولاد هالقرود استفردوا بينا، جرفوا الأرض وذبحوا أهالينا
ونصبوا هالود الملعون في بلاد الشمال
القدس في حال وإحنا في حال
وقضيتنا صار حالهي حال، يوم في هيئة الأمم وعشرة ميهي عالبال.
وسامحني يا خوي عالأخبار الرديّة صاحبك أحمد استشهد في الغارة
الأخرنية، استشهد ولسانه يقول فلسطين عربية من المية للمية

لا تزعل يا خوي كله يهون عشان الحرية
يلا يا خوي شد حيلك وزلزل سجونك، والله يا خوي مشتاقة لعيونك
شد حيلك وارفع راسك في العالي، بعرفك راجل من يومك، ما انت فارس وجدودك أسود ظواري
جدك ياسر أبو الكوفية اللي باع دمه وما باع القضية
وجدك أبو علي المغوار اللي ودّع الغربة واستشهد في الديار
والياسين سماحة وعدل ودين، والشقاقي استشهد وقلبه ع الأرض والقضية
إن شاالله يا خوي الفرج قريب ويبل شوق كل حبيب
تطلع يا خوي بالسلامة وتواصل طريقك
طول عمرك وانت صغير، عزيمتك قوية وحملك كبير
إيدع الزناد وع القدس عيونك
أختم هالمكتوب بقلب مغلوب
سلّم يا خوي على رفاقك - على أبطال الحرية
سلّم على نفحة وعسقلان والرملة الأبية
قول ليهم كل شيء له آخر - وتزوركوا قريب طيور الحرية
مع السلامة يا خوي
يوصلك هالمكتوب بإذن الله قبل طيحة الغروب
مع أم احمد الغزاوية

ما انت عارف يا خوي احنا من الزيارة ممنوعين
قال احنا إرهابية
والسلام ختام عاشت فلسطين عربية، والمجد لأسرى الحرية

لترفع بعدها فتحية الجلسة قائلة: في النهاية نبقى نحبك غزة بعقلك وجنونك وكل ما فيك، وكل الشكر لحضوركم ومشاركتكم وإثراءكم للموضوع تعبيرا عن تأييد الجميع لوحدة شعبنا ورفضا لاقتتال الأخوة لكم تحياتنا وأمنيات الخير نرجوها للوطن؛ الأرض والإنسان.

**

ويُفرد صالون نون الأدبي جلسة لكتاب "**أم الريحان جنة الرحمن - رحلة داخل الأوطان** " – للكاتبة فتحية صرصور

جاء في تقرير الجلسة: في مركز عبد الله الحوراني، وفي آخر أيام انعقاد المعرض الدولي الخمسين للكتاب بالقاهرة، وعند الثالثة والنصف من بعد عصر الثلاثاء الموافق الخامس من فبراير ٢٠١٩م التف رواد صالون "نون" الأدبي من مثقفي غزة وأدباءها حول كتاب "**أم الريحان جنة الرحمن - رحلة داخل الأوطان" للأستاذة فتحية إبراهيم صرصور.**

افتتحت فتحية اللقاء مرحبة بالحضور، شاكرة اهتمامهم بهذه اللقاءات التي يقيمها صالون"نون" الأدبي والتي تهدف لنشر المعرفة وتسليط الضوء على

كتب جديدة، ثم قالت: إنه لشرف لي أن يكون أحد كتبي هو الزاد على مائدتنا الأدبية لهذا اليوم، كتاب "أم الريحان جنة الرحمن "رحلة داخل الأوطان"، الذي أتلمس من خلاله تعريف الأجيال على وطن عزيز، وبقعة غالية على قلوبنا في الجناح الآخر من الوطن. كما إنه يسعدني ويزيدني دعما ويدفعني لمزيد من الأعمال أن يكون أستاذنا شيخ الكتاب الروائيين غريب عسقلاني هو من يتحدث ويقدم لكتابي هذا لكن لي في البدء كلمة.

عدد زاد عن العشرين هي الكتب التي قضيت وقتا غير يسير في كتابتها، كان لكل كتاب نكهته وأسلوب كتابته الخاص به، تارة كنت أتبع المنهج الأسلوبي التحليلي، كما في خصائص أسلوب شعر فدوى وكتب أخرى، وتارة الدراسة التحليلية عبر القواعد الأكاديمية كما في قصة الخليل إبراهيم وغيرها، وتارة أخرى كنت أعتمد التوثيق منهجا كما في سلسلة حكايات الأجداد للأحفاد

أما الكتابين الأحدث فلم أضع نفسي خلالهما في قوالب تحكم كتابتي، وأطلقت لنفسي العنان في الكتابة، وذلك لخصوصية الموضوع، ففي كتاب (فدوى طوقان وأنا) لم أخضع لأي من هذه المناهج التي لا تتناسب مع البوح الذي أردته

كذلك كتاب (أم الريحان جنة الرحمن) الذي نحن بصدده اليوم لم أنسبه لأي من الأجناس الأدبية، فلم أسمه قصة، ولا رواية، وإن كان كما

ذكرت في مقدمة الكتاب أنه توليفة، لذا فقد جعلته نصا مفتوحا يضعه المتلقي كلٌّ حسب الزاوية التي تتبع خيوطها

لمحة من جو الكتابة

تنقلت في بساتين الكتابة متنسمة عبير رياحينها، فكتبت في أنماط عدة؛ شعرا ونثرا وأغنية، كتبت المقطوعة، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، إضافة لكتب عديدة في الدراسات الأدبية والنقدية، وأخرى توثيقية.

اليوم وفي ضوء التماهي مع الطفل وكتاباته، واستكمالا لرسالة حملتها على عاتقي لتعزيز انتماء الأجيال الواعدة للوطن، ولأني مهمومة في الكتابة عن الوطن، والكتابة للأطفال،أردت أن أجعل للفتيان من كتاباتي نصيبا؛ فبعد أن كتبت للأطفال، القصيدة والأغنية وما يربو عن مائتي قصة، أجدني أتوجه للفتيان، فأكتب لهم لونا جديدا، أجمعه كضفيرة بين الأدب والجغرافيا والحوار، في توليفة، أحسبها فنية؛ موثقة لجزء عزيز على قلوبنا من أرض فلسطين، جامعة بين شطري الوطن - غزة والضفة الفلسطينية-، مرورا بعمقه وكبده المقتطع من أجسادنا وأرواحنا - المحتل في العام ١٩٤٨م-، راسمة دروب الوطن بنياط القلب، فلابد أن يعرف الجيل الذي فتح عينيه ولم ير من الوطن سوى غزة، ووعى على حرمانه من الوصول للقدس ومدن ضفتنا، وفي المقابل فتياننا في الجزء الآخر من الوطن في الضفة، نشأ على أنه بإمكانه الوصول لأي بقعة في العالم، في الوقت الذي لا يسمح له بدخول

غزة والقدس، هؤلاء جميعا لابد أن يعرفوا أن الوطن لا يكتمل إلا بهم ومعهم.

فجمعت في الرحلة بين طلاب من نابلس وطلاب من القدس، فيما كانت والدة أحد الطلاب من غزة وقد سلطت الضوء على معاناتها وحرمانها من زيارة أهلها وحضور فرح شقيقها بسبب المنع والحصار، عليّ أكون قدمت لهم بعضا مما يحتاجونه في حياتهم المستقبلية، من المعلومة والفكرة.

ثم قالت: لماذا الحديث عن المحمية؟

وقفت كثيرا ممعنة التفكير في ماذا أكتب للفتيان، كان توجهي بداية في الكتابة عن القرى المدمرة من أرض الوطن السليب أتحدث عنها وأعرِّف بها لترسو في ذاكرة الأجيال.

وبعد البحث والتفكير رأيت أن أتناول إحدى محميات الوطن، قرأت عن عدد منها، فكانت محمية أم الريحان هي الخيار لما بها من مفارقات، فهي تجمع بين الجمال والخضرة والوجه الحسن، مع الألم الذي تحدثه المستوطنات المنغرسة في خاصرتها، وعلى دروب من يفكر في الوصول إليها، ثم هي في منطقة انطلقت منها الثورات، وأنجبت الثوار، بدءا من زائرها السوري عز الدين القسام وحتى محمود طوالبة وأحمد جرار مرورا بمئات الشهداء، لقد حرصت على التأكيد على هويتنا واستحقاقنا لهذه الأرض.

وعن جو العمل قالت: عبر الخرائط الكثيرة لمحافظة جنين والمدن والقرى التابعة لها استطعت أن أحدد خط السير من نابلس حيث منطلق

الرحلة إلى أم الريحان، وكانت معرفتي بذلك بنسبة لا تزيد عن ٤٠.%، ولتأكيد المعلومة لجأت إلى صديقتي السيدة أم عماد أبو زهرة وزوجها الأستاذ صبحي عبد العزيز أبو زهرة (والديّ الشهيد الصحفي عماد أبو زهرة) الذي رسم لي خطوط السير من نقطة البداية في نابلس وحتى المحمية.

ثم بدأت أبحث في مواقع التواصل عن الصفحة الرسمية لكل قرية أو مدينة سيمرّ عنها الزائر للمحمية، كنت أطلب منهم تزويدي بمعلومات عن منطقة سكناهم، البعض استجاب ورحب، والبعض أحالني لمن هو أكثر معرفة منه، فتداخلت المعلومة الجغرافية، مع المشاهد الإنسانية والواقع المعاش لشعبنا.

وتأكيدا على أهمية التميز اخترت الطلاب المتميزين من الصف التاسع ليقوموا بهذه الرحلة الاستكشافية حبًّا بالمعرفة في إجازة انتقالية بين مرحلتين تعليميتين:

* لم أنس في كتابي هذا التأكيد على القيم التربوية فالطلاب يخبرون معلمهم بالفكرة، وعندما وجدوا منه التشجيع أكدوا على أن ذلك لن يكون إلا بموافقة الأهل

* حرصت على الإشادة بأدب الطلاب في الحديث مع الآخرين وطريقة الاستفسار من معلمهم عن أي معلومة، والاعتذار عند المقاطعة

* نوهت لضرورة مساعدة الأهل بالعمل حتى لو لم يكن من اختصاصهم كأنور الذي تولى مهمة إنضاج المعجنات في الفرن، وأكد لأستاذه أنه دائم المساعدة لوالدته وأخته.

* التأكيد على العلاقة الجيدة بين زوجة الابن وعائلة زوجها، فهم عائلة واحدة وليسوا جهتين، وفي المقابل هم لها كالأهل (أم أنور)

* التضحية لأجل الأفضل، فـأم أنور رفضت العودة لأهلها في غزة كي يتربى ولديها بين أهل والدهم المتوفى

* أشرت للأسس التي يقوم عليها اختيار الزوجة، عملا بالحديث الشريف اظفر بذات الدين، وهذا ما أكد عليه العريس سائد فما من مواصفات يضعها للعروس، إذ يكفيه أن تكون مقبولة شكلا، وتتمتع بالخلق الحسن؛ فهي التي سيضع بين يديها أمانة تربية الأبناء

* أكدت على خاصية التكافل والترابط بين العائلات من جهة وبين أبناء الوطن الواحد من جهة أخرى، وذلك من خلال تأجيل موعد الزواج بسبب أحداث حرب الخمسين يوما عام ٢٠١٤م على غزة.

* التوثيق للأحداث وهذا ما قامت به شيماء ابنة أم أنور راصدة أحداث حروب ثلاثة وقعت على غزة ٢٠٠٨ - ٢٠١٢ - ٢٠١٤م

* أوردت بعضا من الأمثال الشعبية على لسان أم أنور، كذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية موظفة كلّ في موضعه

* مائة وستون صفحة (١٦٠) صفحة اعتمدت فيها التوثيق مع الدراما مع التراث وبعضا من عاداتنا الشعبية المتبعة في الزواج

* هذا العمل فتح لي كثير من المغاليق، فبه اطلعت على كم كبير من المعلومات عن قرى محافظة جنين والتي كنت أجهل الكثير منها، كما جعلني أتنسم عطر الوطن، فملأت رئتي بعبق أزهار اللوز والزعتر، عشت فيها وعايشتها، سرت في شوارعها، فطُبعت بذاكرتي، وتركتُ طيفي على رمالها وسفوحها وجبالها

كما أن لهذا الكتاب يرجع الفضل بفتح شبكة تواصل مع أشخاص لم أكن أعرفهم؛ أمدوني بالمعرفة والمعلومة الصحيحة؛ كلّ عن قريته، برغبة صادقة وحماس كبير لرؤية الكتاب، هؤلاء جميعا أصبحوا لي أصدقاء، وأرى أنه لزاما عليّ أن أتقدم منهم جميعا بالشكر ووافر التقدير

أخيرا أسأل الله العلي العظيم أن أكون وُفقت في هذا العمل، فأكون ساهمت بتأصيل فكرة التمسك بالوطن في نفوس الفتيان، ونبهت لضرورة حرص كلٍّ منهم للتعرف على أجزائه ما أمكنهم ذلك، وأن يقبله المولى خالصا لوجهه الكريم والله الموفق

بعد أن أنهت الأستاذة فتحية إلمامتها عن الكتاب تلت رسالة واردة من هناك؛ من جنين، من **السيدة أم عماد أبو زهرة** رئيسة جمعية جنين النسائية، تقول في رسالتها:

عظيمة هي الكلمات التي تربط نبض الوطن بشقيه الساحلي والداخلي، بمتانة حروفها وتألق صورها، تؤرخ تجذر زيتونها، وتعانق أمواج بحرها، وتدفق مياه عيونها، يغمر أرضها بحب وحنان، عجزت قادته وساسته رغم كل محاولاتها أن توحد شطريه، إلا أنه وقف شامخا عزيزا متحدا بعيون أدباءه وروعة كلماتهم.

رواية جسدت ملحمة شعب خالدة لا تأبه بالمفاوضات ولا تهمها المناكفات، كل همها أن يرى كل فرد في هذا الوطن نفسه فوق كل ذرة تراب من ثراها، فجاء هذا الكتاب ليؤرخ ويرسم خارطة طريق بملامح أمجاد الآباء والأجداد، يهتدي بها أشقاء رحم الأرض في غزة، علّهم بقراءتها تخط أقدامهم ثرى جنين ونابلس وباقي الربوع المحتجزة تحت خناجر الغدر والقهر، وقد حرمتهم من أحضانها.

وكم نتمنى أن نرى عملا مشابها، نعبر من خلاله وبين أسطره ربوع غزة الحبيبة، نشاهد مدنها ومخيماتها وشطآنها، وتحملنا سفن العودة في بحرها، ورايات النصر ترفرف فوق أشرعتها، تتراقص على أنغام أمواجه، وأهازيج النصر تدوي تروي حكاية إنسان .. قهر الهوان والسجان.

أم عما د أبو زهرة

ثم تلت رسالة وردت من مدير مدرسة أم الريحان المختلطة **الأستاذ عائد زيد** كتب فيها:

بداية اتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأخت الكاتبة والأدبية ا. فتحية صرصور باختيارها الموفق بالكتابة عن قرية فلسطينية تمارس عليها أبشع الوسائل من قبل الاحتلال، قرية تستحق أن يعرفها الصغير والكبير قرية تقع على تلة جبلية يحيط بها أكبر محمية طبيعية في فلسطين وبرج يتوسط المحمية، يطل على السهل الساحلي من زمن الإنجليز، واستخدمته الحكومة الاردنية والآن الاحتلال يفرض سيطرتها بعد ان كانت متنزه فلسطيني بإمتياز، وبجانب القرية آثار لقرية رومانية تمتد عل مساحة ٤٤ دونما، ويوجد بها مقابر ملكية، ولكن تم وضع هذه القرية داخل جدار الضم والتوسع، فلا يسمح لهم الدخول إلا بتصريح

نحن من قرية أم الريحان ومن آل زيد الكيلاني، نبرق لكم تحية مملوءة بالريحان والعنبر لكم وخاصة أنه آن الأوان ليتعرف الجميع عليها وخاصة أن القرية يحيط بها سبع مستوطنات وأؤكد على أن كل من سمع عن هذا الكتاب في القرية ارتسمت الابتسامة على وجهه وينتظر بفارغ الصبر صدوره وتوزيعه

فلكم منا كل المحبة والاحترام والتقدير

الأستاذ عائد زيد مدير مدرسة أم الريحان المختلطة.

ثم كانت الكلمة لشيخ الأدباء والروائيين **الأستاذ غريب عسقلاني** قراءة للكتاب بعنوان: **التوثيق والأدب والرسالة التربوية، في كتاب ام الريحان رحلة داخل الأوطان" للمربية للأديبة فتحية صرصور."**

وقد افتتح حديثه بالقول أشكر الأستاذة فتحية وقد جمعت في كتابها بين توثيق المعلومة وبين أصول التربية والتعليم، فتوصلت من خلال قراءة كتابها إلى أن المنهج التربوي هو منهج علمي بالأساس، يقوم على التخيل مما أوجب على الكاتب أن يكون أمام حقائق معتمدة، وقد كسرت فتحية الرتابة العلمية فجمعت بين السرد الحكائي وبين تقديم مادة مجردة.

ثم بدأ بطرح ورقته التي قال فيها:

في كتابها أم الريحان رحلة داخل الأوطان، تبحر الأديبة المربية فتحية صرصور، وقد تزودت بالمتاح من مراجع التاريخ، ومدونات الرحالة والمثقفين، بالإضافة إلى شهادات ميدانية لعدد من رجال التعليم في الضفة وغزة يؤرقهم ذات الاهتمام لتنشئة جيل لا يغترب عن وطنه، وذلك بربط التاريخ والجغرافيا والإنسان الذي مر عليها أو أقام فيها، وتوثيق المتوارث من حكايات الناس في كل مدينة وقرية ومضارب البدو، وكل ما من شأنه إضاءة حراك السكان في العالم العربي، ومساهماتهم في إعمار الأرض منذ أزمان سحيقة سبقت الديانات السماوية، قبل التأويل الصهيوني واعتبار أن اليهود أصحاب الحق في فلسطين، بضبابية تضرب عرض الحائط أن الشعب الفلسطيني بيهوده، مسيحييه ومسلميه عاشوا لحمة واحدة منذ أزمان سحيقة نقشوا وجودهم في التاريخ الإنساني.

وقد سلكت الكاتبة الأديبة مسارا جمع بين تقنيات الروائية بحدود، والسيرة الذاتية بحدود أيضا، لتحقيق غاية كتابها التعليمي.. بتقديم توليفة

حكائية تناسب وهي وعرفة تلاميذ المرحلة الإعدادية المتفوقين الصاعدين نحو فهم الحياة والالتزام نحو تحيق غايتهم في الحياة

ولعل ما يلفت الانتباه وقوف الكاتبة عند تحليل وتفسير الأسماء الواردة على ألسنة العامة، بالعودة للنص القرآني باعتباره المرجع في علم الكلام والبلاغة، ونسب اللهجات إلى قيائلها العربية، وبذلك تقدم درسا لغويا عميقا سلسا وسهلا في توصيل الرسالة.

الاحصاء والنشاط البشري ومعالم البيئة:

تستند الرحلة على أمهات كتب الرحالة والموثقين في عصور متعددة وتصف طبوغرافيا المواقع وارتفاعها عن سطح البحر، ومدى صلاحيتها للإعمار، وما تشتهر به من مزروعات ونباتات موسمية، وأشجار معمرة، ما يؤكد أن فلسطين جنة الله على الأرض، وسببا لاستقرار الوافدين اليها الذين أضافوا إلى تاريخها على مر العصور، الأمر الذي يجلي حقيقة فلسطين العربية قبل هبوط الأديان وقبل ظهور الإسلام خاتم الرسالات السماوية، وما طال الأمة العربية من شقاق وانتكاسات أدت إلى ما نحن علية اليوم.

الرواة المساندون:

يظهر في الكتاب جهد ثلة من المشاركين المعاصرين من أساتذة المدارس، والنخب الاجتماعية من رؤساء عشائر ومخاتير عائلات، ورجال دين قدموا ما علق في ذاكرتهم من حكايات ومعتقدات توارثوها في أماكن تواجدهم في المدن والقرى والسكنات والخرب، ما جعل رحلة الكتاب مدونة

تمتد من التاريخ القديم إلى المعاصر المعاش، ما يشير إلى جنود مجهولين يؤكدون على مصداقية الروايات وردها إلى مرجعية الظواهر إلى جذورها، ما يضفي على الكتاب قيمة تراثية تثري الجانب المعرفي للطلاب في سن مبكرة وتفتح آفاق التخيل القائم أسس واقعية.

لحمة فلسطينية واحدة موحدة:

تنتقل الكاتبة إلى الأحداث المعاصرة، حيث إن الوطن المتاح بعض الضفة وقطاع غزة، بفعل تمدد الاستيطان بعد اتفاقية أسلو، وتمدد المستوطنات التي تلتهم مساحات واسعة من أراضي المدن والقرى والأراضي الأميرية، وعزلها بالجدار العازل الذي قسم حتى البيوت على جانبية، وأصبحت الجغرافيا مع سكانها أشبه بالسجون المعزولة محرومة من أي تطوير لصالح المستوطنات التي تمدد الكثير منها وأصبحت مدن وقلاع حربية أدت إلى انتفاضة الأقصى التي فجرت المقاومة، والتي عكست العلاقات الأسرية التي تشكلت بفعل المصاهرة والنسب بين أهالي الضفة وغزة، ما جعل التكافل الاجتماعي شكلا من أشكال المقاومة أيضا التي تحمّلها الأجيال الصاعدة مسئولية مضاعفة اتجاه الحفاظ على أسرهم بوسائل بناءة، وجعل الآباء والأمهات يقمن بأدوار مضاعفة

فأخذت المصاهرة نمط الحفاظ على الأسر في صعوبات الحياة، وقد تجلى ذلك في مصاهرة أسرتين من أسر التلاميذ بمباركة الجميع وكأن الأسرة

القادمة بداية مسيرة تقوم على تحمل مسؤوليات جسام لا حالة فردية تدير ظهرها لبقية أفراد الأسرة.

وقد اغتنمت المؤلفة في سياق البحث عن الجذور، إحياء تقاليد الزواج والخطبة والبحث عن العروس و" الشوقة" وخاتم الشوفة بعد موافقة الأمهات والأخوات والجارات الطيبات المرافقات، كما أحيت العادات في حالات الحزن والفرح بالأغاني والأمثال والأقوال المأثورة وإسنادها بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تدعم جذورها العادلة غير القابلة للنقض والتأويل، مما يؤكد ربط الأرض بالإنسان وتشكل الهوية الفلسطينية المشتركة مهما تنوعت الطبوغرافيا وتمايزت العادات هنا وهناك بين الضفة والقطاع والداخل الفلسطيني بعمقه العربي.

مدونات خاصة:

وكأن غزة على انتظار مع مفاجئات جديدة، فأنور عليه أن يقفز من عمرة إلى مرحلة الرجولة والمسئولية فجأة ليحمل أحزان أمه وأهلها في غزة وكأنه لا يكفيها لوعة انقطاعها عن التواصل معهم بسب الحصار الذي فرضه الاحتلال بعد انتفاضة الأقصى، وها هو يقصف رفح والشجاعية، وتهرب خالته إلى مراكز الإيواء في المدارس، التي باتت أهداف للقصف.. هل ستعاني أم أنور اليتم من جديد بفقد أحبتها؟

ألا يكفيها يتم ابنها الذي لم يفرح بحضن أبيه الذي اغتاله السرطان فجأة بعد رحلة عشق خاطفة وابنتها التي جاءت الدنيا بعد غيابه فأصبح سطرا من الحكاية؟

ليصبح قدر هذه الفتاة أن تسكن الأجندة، تدون يوميات الحرب على غزة، منذ وقائع الرصاص المصبوب، وعمود السحاب، والجرف الصامد، ولسان حالها يهرف بقول أمها " اللي لا تصابحه ولا تماسية ما تعرف إيش الزمن يعمل فيه"

راحت الأم تردد الأغاني الحزينة وتردد مشاعر الفجيعة وشيماء تدون ما تقطره الأم من ألم وتضيف سفرا من أسفار الفجيعة بإيمانها أن غزة النقاء تعيد قدرها وتخرج من رمادها كل مرة أكثر عنفوانا، وان عليها الصبر مع أولادها ومواصلة الرحلة وسط ناس باتوا أهلها وأهل أولادها على أرض تعلقت بها كما تعلقت بغزة وأن غدا لناظره قريب.

وبعد:

فقد قدمت المربية الأديبة عملا تربويا يناسب وعي طلاب المدارس، واستعانت بمراجعها اللازمة، مستندة على رؤية دينية وسطية تستلهم روح الإسلام النقي، وتتسامى عن السلبيات، ينبع من موقفها البناء اتجاه الحياة، فقدمت عملا يأخذ نسيج الرواية يعتمد على حكايات المحدثين والغابرين، لعلها ومجموعة من الكاتبات الرائدات في هذا المجال، قد أضافت عملا جديرا بالقراءة، وجديرا أن يضاف إلى مساقات المطالعة الحرة التي تعمل على

تخصيب الوعي، وحفز الذاكرة التي ستصبح يوما البئر العميقة التي تشكل وعي الأجيال.

بعد أن أنهى الروائي غريب عسقلاني عرض ورقته فتحت الأستاذة فتحية للحضور باب النقاش، نورد جزء منها، كان **الأستاذ عبد الكريم عليان** أول المتحدثين فقال: نبارك للأخت فتحية هذا المنجز العظيم، فالعلم التربوي يقول إن من يكتشف اللحظة الحرجة عند الطفل يستطيع أن يوجه الطفل للمسار الصحيح، وفتحية وضعت كتاب يلائم هذه المرحلة الحرجة؛ مرحلة المراهقة، قدمت لنا منهجا جميلا، وأسئلة كثيرة عند هذا الطفل ليسير في المسار الصحيح.

وإن كنت لم أقرأ الكتاب إلا أنني من السرد لأحداثه، وما قدمه الأستاذ غريب تيقنت أن للكتاب قيمة كبيرة، وأتمنى أن أقرأ هذا الكتاب.

المهندس عمر الهباش قال: مشكورة الأستاذة فتحية على هذا الكتاب، وأؤكد على ما قالته، فأرض فلسطين لم تحتو على أي أثر إسرائيلي، حتى العملة التي تداولوها، سرقوها من الكنعانيين.

أبارك لها وأتمنى أن أحصل على نسخة من الكتاب

الأديب الروائي خلوصي عويضة قال: للتو انتهيت من قراءة كتابك (فدوى طوقان .. وأنا) وشعرت بالمتعة وأريد أن أبارك لك؛ فبارك الله في عمرك وعملك، وبديع كلماتك.

ثم قال: لي سؤال موجه لكل من الأستاذة فتحية والأستاذ غريب، وهو: هل لو فكرت في طبعة ثانية للكتّاب ستحذفين شيئا أو تضيفين شيئا؟

أما **الأستاذ نبيل عابد** فقال: كتّاب يتم عرضه، وللوهلة الأولى استطاع أن يثير هذه الضجة والاهتمام فهو كتّاب قيم، وأنصح بأن يكون فهرسا لخريطة ذهنية وتُدرس ضمن المنهاج المعتمد.

وكان **للأديب عبد الرحمن شحادة** كلمة قال فيها: الكتّاب قيم ويستحق كل هذا الاحتفاء، وأتمنى عليكم أن تتبعوا هذا الأسلوب لترسيخ حقيقة الأرض الفلسطينية في أذهان الأجيال الحالية والقادمة.

أشكر الأستاذ غريب وأشكر الأستاذة فتحية التي تقوم بكشف مضامين غائبة عن الكثيرين.

الأستاذة إيمان أبو شعبان قالت: بعد التهنئة بالكتّاب أقول إن فتحية حاصلة على ماجستير في النقد الأدبي، لكنها تعدت حاجز النقد الأدبي وكتبت في عدّة مجالات، وهذا يُحسب لها، فقليل من الكتّاب يخوضون في أكثر من مجال، فلها كل التحية.

الأستاذة آمال عبد المنعم قالت في مداخلتها: من خلال القراءة التي سمعناها أعتبر هذا الكتّاب فريد من نوعه، لأن معظم الكتب التي تناقش في الصالون هي أدبية، لكن هذا الكتّاب يُعرج على موضوع غائب بسبب عدم إمكانية التنقل بين غزة والضفة، فقليل من أطفالنا من سمعوا عن أم الريحان

وباقي قرى ومدن الضفة الغربية، وجميل جدا أنك وصفت الطبيعة الجغرافية والمتغيرات الجيولوجية التي تعرضت لها.

بعد ذلك شكرت الأستاذة فتحية كل من تحدث، وردا على سؤال الأستاذ خلوصي قالت: في مسيرة الرحلة كنت أعرّف بكل قرية أو مدينة أو خربة مرّ عنها الطلاب، كنت أتحدث عن تسمية المكان، ومعظمها يُقال أكثر من سبب لتسميتها، كعجة التي قيل إنها سميت لإيوائها أحد الفارين من العثمانيين وعندما رفضوا تسليمه أحرق العثمانيين ممتلكاتهم وبيادرهم فانتشرت عجة الدخان، وأكدت على أن كرمهم وحسن استقبالهم لمن يلجأ لهم ممتد بأهلها حتى اليوم، فجعلتهم يستضيفونهم في مضافة القرية ويحملوهم زوادة تكفيهم لباقي الرحلة، وهكذا في كل موقع.
وعندما تحدثت عن سبسطية بآثارها الرومانية، قلت إن التجول في مواقعها الأثرية والسياحية يحتاج لرحلة ثانية وعد المعلم طلابه به، فلو قدر لي أن أطبع الكتاب قد أضيف هذه التفصيلات لسبسطية.

ثم كان رد الأستاذ غريب: طالما أن الكتاب في جزء منه يعتمد على البحث والتدوين فهو قابل للإضافة ولا يعيبه ذلك، فالدكتور أحمد شلبي الباحث قال عن رحلة الإسراء والمعراج في طبعته الأولى أن الإسراء كان بالروح فقط، وبعد ذلك عدّل المعلومة في طبعاته التالية وقال إن الإسراء

كان بالروح والجسد، وكثيرا ما نرى في الكتب عبارة (طبعة مزيدة ومنقحة).

لذا طالما أن الإنسان خلف الفكرة فقد تصيب وقد تخطئ وقد تتطور، فأن أعجب ممن يعيش في ٢٠٢٠م ويستعين بمرجع مرّ عليه قرن من الزمن، فلابد للباحث أن يواكب التطور وإلا يكون بحثه ناقصا.

وهذا الكتّاب أرجو أن يُتخذ كمرجع بحثي ويُزاد عليه.

رفعت الأستاذة فتحية الجلسة على وعد بلقاء جديد من لقاءات الصالون بإذن الله

وتتوالى جلسات صالون نون الأدبي دون انقطاع ما لم تكن الظروف قاهره ومانعة من انعقاده

**

بينما كنت أستعيد ملفات كتبي من درايف جوجل، وأردت إعادة طباعة كتاب دعاء الأنبياء، استأذنت الدكتور إبراهيم أن نستهل هذه الطبعة بتقديم يسُطره بكلماته الراقية، إلى جانب تقديم الدكتور صلاح

فرأى أن تكون الكلمات التي أنتجها لقاؤنا في غزة، وما صاحبها من مد جسور التواصل بيننا عبر سنوات، لتكون هي التقديم لكتابي، وهي ما جعلها فصلا في كتاب "من أداب الأقطار العربية"

**

النافذة السادسة: فلسطين في وجدان الدكتور إبراهيم

الدكتور إبراهيم متابع لمجريات القضية الفلسطينية، مهتم بتطورات الأحداث في غزة، وهو لا يفتأ يذكر مأساة الشعب الفلسطيني في معظم كتاباته إن لم يكن جُلها، قرأت له كتاب (من آداب الاقطار العربية) فوجدته ينحاز لفلسطين والفلسطينيين، يدافع ويناخ عنها وعنهم بكل ما أوتي من قوة ومحبة، وإيمان يملأ قلبه بعدالة قضيتهم، حتى لتجده يستدعي همهم ومعاناتهم في معظم كتاباته

**

وهذه بعض المشاهد من كتابه "من أدب الأقطار العربية" والتي تؤكد على اهتمامه بقضيتنا وإيمانه بعدالتها

يقول في كتابه([1]): "ومن ثم جرفتنى الرواية فلم أتوقف حتى انتهيت منها رغم انشغالى الشديد بسبب أحداث غزة والدمار الذى نالها على أيدى الصهاينة الخنازير ورغم كسلى العقلى والتأليفى المزعج جراء تلك الأحداث وما اشتملت عليه من تسوية معظم منازل إخواننا الكرام فى غزة بالأرض، وإن خفف من تألمنا بطولات شبابها المقاديم الذين أعادونا إلى عصر النبوة والصحابة العظام وكأننا استقللنا آلة الزمن التى تأخذ ركابها إلى الماضى وإلى المستقبل حسبما يشاؤون."

---

[1]) من أدب الأقطار العربية، دراسة رواية "نارنجة" لجوخة الحارثى

**

ويقول: "وهنا أجد لزاما أن أبين أن الذين أدخلوا الشيوعية فى بلادنا يهود، والذين كانوا يقومون بدور الأساتذة لشيوعيينا هم أيضا يهود، وحين اندلعت حرب ١٩٤٨م على أرض فلسطين كان الشيوعيون يتخذون طوال الوقت جانب الصهاينة مثنين عليهم بل ممجديهم بأنهم تقدميون تنويريون بينما العرب والمسلمون يمثلون فى نظرهم الطرف المتخلف الظلامى الذى يجب الوقوف ضده حتى تنتصر الصهيونية وتنشر التقدم فى المنطقة، والغريب أن شيوعيينا كانوا لا يصفون أنفسهم طوال الوقت بأقل من "المناضلين الشرفاء" كأن الشرف يتمثل فى خيانة شعبك والانحياز بكل قواك إلى أعداء هذا الشعب، كما لوحظ غياب الصوت الشيوعى فى العدوان الإجرامى على غزة والضفة فى عملية طوفان الأقصى

لقد ابتلع شيوعيونا تلامذة الصهاينة ألسنتهم فلم يفتح الشيطان عليهم بكلمة طيبة فى حق المناضلين الشرفاء الحقيقيين، مناضلى غزة، لقد انتقلوا من المعسكر السوفييتى إلى المعسكر الأمريكى بكل وقاحة وبساطة، وسمعت أحد الشيوعيين الأدناس، وكان زميلا لنا بالجامعة يعتنق الفكر الشيوعى ويحمل على الغرب الرأسمالى، سمعته يقول فى التلفاز، وبتنطع وتبلد وانخلاع تام من الإنسانية، إنه لا ينبغى أن نجر إلى الحرب بجانب غزة بل علينا الانشغال بأنفسنا وبلدنا ولا نزيد، بالنسبة للغزاويين، على التعاطف الإنسانى العام

معهم، وهذا معناه أنه لا تربطنا بهم عروبة ولا إسلام ولا جوار جغرافى ولا أننا نحن الذين ضيعنا غزة فى حرب ١٩٦٧م، وعلينا من منطلق الواجب الخلقى والسياسى أن نقوم بدورنا فى استرجاعها لأصحابها الذين انبرينا فى حرب ١٩٤٨م فأخذنا الإشراف عليها وحمايتها على عاتقنا، ثم حين جد الجد لم نستطع الوقوف موقف الرجال وضيعناها بكل وضاعة."(١)

**

ثم هو لا يمل القول في هذه القضية وعنها فكتب:

"ويمكن النظر مثلا إلى شمشون على أنه رمز على ما كان الصهاينة يشيعونه بعد هزيمة يونيه سنة سبع وستين من أن جيشهم لا يقهر أبدا، وأنه قادر على إنزال الهزيمة بالعرب والمسلمين فى غير وقت يذكر، لكن ها هى المقاومة الفلسطينية المعتزة بإيمانها بربها، العاشقة لتراب وطنها، الجاهزة للتضحية بالنفس والمال والولد والحياة السهلة تكبد العدو الخسائر الفادحة فى السلاح والمقاتلين، وتذل الصهاينة أيما إذلال، وتلطخهم بالعار والشنار رغم قلة إمكاناتها وخيانة مليارى مسلم لها - إلا ما ندر - وانحيازهم لعدوهم أو على أقل تقدير: لا مبالاتهم بالدمار والخنق والحصار والتجويع والتعطيش والضرب بالقنابل الشيطانية وتقتيل عشرات (وربما مئات) الألوف من

---

١) من أدب الأقطار العربية، الشدياق والساق على الساق والحداثة

أطفالهم وحرائرهم وشيوخهم ووقوف العالم الغربى كله تقريبا معهم ينصرهم فى المحافل الدولية، ويمدهم بأحدث أنواع الطيارات والقنابل والصواريخ وأبشعها فتكا. فكيف لو أثبت العرب والمسلمون أنهم رجال تجرى فى عروقهم دماء ساخنة لا ماء مثلج؟

وربما لا نبالغ أو نحمل الأمر فوق طاقته إذا قلنا إن استعانة الفلسطينيين القدماء بدليلة للإيقاع بشمشون هو رمز على ما ينبغى لنا من الاستعانة بالاستخبارات على التدسس إلى أسرار عدونا والتجسس على نقاط ضعفه وثغرات احتياطاته بغية هزيمته ودحره؛ إن الحرب، كما علمنا رسولنا، هى خدعة فى جانب من جوانبها، واستعمال عاشقة الجبار الغبى المسمى: شمشون هو من هذا الباب، وحقا انقلب الوضع بعد فترة حين نبت شعر شمشون من جديد وحين انخدع الصبى الذى طلب منه شمشون وهو يسلى الفلسطينيين فى المعبد لمناسبة دينية أن يأخذ بيديه ويضعهما على أعمدة المبنى كى يستند إليها، فما كان منه وقد استشعر رجوع قوته الخارقة إليه إلا أن استعان بعزيمته ودفع العمودين المتوسطين كلا منهما بعيدا عن الآخر، فخر السقف وقطف، حسبما تقول الخرافة، أرواح عدة آلاف من الفلسطينيين، لكن ها هنا درسا لا يصح أن يفلت من انتباهنا، ألا وهو أن من غير المقبول إهمال التفكير فى العواقب وعدم الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة، لقد كان يجب على الفلسطينيين بعدما جزوا شعر شمشون أن ينتبهوا إلى أن الشعر المقصوص لا يبقى مقصوصا أبد الآباد، بل يعود فينمو كرة أخرى. كذلك لا يصح الانخداع بمسكنة

العدو لدن وقوعه فى أيدينا، ومن ثم كان يجب على الحاضرين فى المعبد أن يحذروا الغلام من الاستجابة لطلب شمشون، والتصرف السليم فى هذه الحالة هو حسم الأمر والقضاء على الخطر من جذوره ومن ثم التخلص من ذلك العدو منذ البداية."

ويقول:

"بالإضافة إلى أن كثيرا من الإماراتيين ينحاز على نحو فاضح مخزٍ للصهاينة ويستطيل بلسانه على المقاومة الفلسطينية الكريمة ويستهزئ بها، والله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون، صم بكم عمى فهم لا يعقلون! وكأن المسؤولين الإماراتيين هم المعنيون باسم "وكلاء صهيون"، الذى أطلق على مسرحية الشاب سلطان القاسمى المشار إليها آنفا، يا لها من نبوءة! أما اتحاد العرب وتشكيلهم قوة يعمل لها البريطان حسابا فللأسف تحقق عكسها تماما، إذ كل الحكومات العربية تقريبا تقف مباركة للدمار والتقتيل الذى حاق بغزة وأهلها الكرام ودفنهم تحت أنقاض بيوتهم بعشرات الآلاف إن لم يكن بمئاتها

وإن أنس لا أنس الشاب الإماراتى الذى أرسلوه إلى فلسطين السليبة (المسماة: "إسرائيل" الآن) منذ عدة أعوام سفيرا لبلاده، فشرع منذ وطئت قدماه النجستان أرض الإسراء والمعراج يثنى على الصهاينة الطيبين الأبرار عاشقى السلام الراغبين فى العيش بيننا فى مودة وتعاون، وانتشر الفيديو الذى

يصوره وهو مستسلم للحاخام الإسرائيلى وقد وضع يده على رأسه يباركه بينما صاحبنا ساكن راض سعيد بل ومستزيد، وعلى وجهه أمارات البلاهة والغباء! زاده الله من طينة انخبال يوم يبعثون، حيث لا ينفعه الحاخام حين يقذف بهما معا فى قعر الجحيم، وقد استغرب بعض المعلقين من العرب على الفيديو هذا الانبطاح وذلك الهوان، وقالوا إن الحاخام لم يصدق عينيه ولا أذنيه لدن سماعه من السفير الغر الغبى الذليل عبارات النفاق والاستسلام التى لم يتوقعها ولا أن تكون بكل هذا القدر من الحقارة والحماقة، وربما كان السفير الشاب يهوديا مستخفيا، من يدرى؟"(١)

**

ويقول: "وفي أعقاب عملية طوفان الأقصى، أثار بن جلون انتقادات كبيرة حيث وُصف بـ"المُتصهين"، وطالب عدد من النشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي بمقاطعة كتاباته، وذلك بسبب مقاله الذي نشره بجريدة "لو بوان" الفرنسية في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٣م، حيث اعتبر فيه أن ما قامت به حركة حماس في عملية طوفان الأقصى "لم تكن حتى الحيوانات لتفعله"، واصفا رجال المقاومة الفلسطينية بمنعدمي الضمير والأخلاق والإنسانية وأنهم لم يعملوا يوم السبت ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ إبان الهجوم الذي نفذوه ضد

---

١) من أدب الأقطار العربية، الشيخ د. سلطان القاسمى ومسرحيته: "شمشون الجبار" وسيرته: "سرد الذات"

المستوطنات الإسرائيلية في غلاف غزة سوى على اغتيال القضية الفلسطينية". وإذا كان هذان هما مُدَشِّنَىْ شكرى ككاتب عن طريق ترجمتيهما لكتاب "الخبز الحافى"، الذى أشك كثيرا فى أن يكون قلم ذلك السكير معاشر المومسات ومفضل العهارة، ومعها الشذوذ الجنسى، على الزواج النظيف الكريم هو مؤلف الكتاب على النحو الذى نراه عليه بل أغلب الظن أنه قد كان يثرثر به مع العلج الأمريكانى كل مساء حتى انتهى من خلطته العجيبة، وصدرت ككتاب."[1]

**

كذلك يقول:

"ولماذا كل هذا الاحتشاد خلف اليهود ضد غزة القليلة الضئيلة ومساندتهم بالسلاح والأموال والقوات الحربية فى تدمير منازلها وتقتيل رجالها ونسائها وأطفالها بعشرات الآلاف وتحويل حياتهم إلى جحيم، والغرب بحمد الله من الديموقراطية وكراهية العصبية على سنجة عشرة؟ بل قبل ذلك كيف يعلل الريحانى اشتعال الحرب العالمية الأولى بين الدول الأوربية نفسها، وليس فيها عصبيات قبلية ولا دينية، فكلها أوربية، ودينها أو لادينها واحد؟ ولو كان معنا الآن فكيف كان يعلل الحرب الضروس المتفجرة حاليا بين الروسيا

---

[1]) من أدب الأقطار العربية، دراسة عن "الخبز الحافى" لمحمد شكرى

وبين أوكرانيا، التى يتترس الغرب خلفها ضد الروس؟ أيهما عصبيات قبلية أو دينية؟ وهل منعت العصبيات العربية فى الأندلس بعض دولها الإسلامية من الانحياز إلى نصارى تلك البلاد ومحاربة أبناء العروبة والإسلام معهم، حتى إذا قضوا على شأفتهم استدار النصارى فاستأصلوا شأفة أولئك الحلفاء المسلمين أيضا وذهب الفريقان العربيان المنتسبان إلى الإسلام فى ستين داهية تشيعهما إلى المزابل لعنات الله والملائكة والصالحين من هنا حتى يوم بعث الميتين؟ وقل مثل ذلك فى الدول العربية التى تأخذ جانب اليهود والغرب الآن ضد أبطال غزة المُعْتَزِين مثلهم إلى عصبية العروبة وعصبية الإسلام.

**

ويستكمل دفاعة عنها ومناصرته لقضيتها فيقول: "أنا على وعى تام بأن الشعوب الإسلامية قد انحرفت وقتا طويلا عن قصد السبيل وتحولت إلى غفلة وغباء وعمى عن الغاية الحقيقية للدين وتمسكت بالقشور، واعتصمت بضيق الأفق، وأعلت من شأن الفهم الخاطئ للقرآن والأحاديث وعضت بالنواجذ على طائفة كبيرة من الكلام المنسوب زورا للنبى عليه السلام مما كانت نتيجته التصادم الداخلى فيما بينهم وانشغالهم بهذا التصادم عن الاستعداد للأعداء الحقيقيين، فضلا عما حاق بهم من التخلف والهوان والمذلة والانسحاق أمام خصومهم. ومن ثمار هذا كله ما يحدث فى فلسطين منذ احتلها اليهود وامتلخوها من أيدينا وهَجَّروا معظم أهلها وشيَّدوا لأنفسهم دولة كاملة عليها، ونحن بملايينا التى تعد بالمئات لا نقدر على ملايينهم

الخمسة. بل إن بعض حكوماتنا لتنحاز إليهم: فى الخفاء قبلا، ثم صار الآن كل شيء مكشوفا مفضوحا. لكن هذا وأسوأ منه إنما هو الجانب السيئ الفاسد من جوانب العصبية، أما الجانب المستقيم فهو جانب التعاون بين المسلمين والعمل الكادح والتنافس فى الإنتاج والإتقان والسعى المحموم وراء العلم والعمل على هدى منه والرغبة الحارقة فى الاكتشاف والإبداع من أجل بلوغ الأمة وأفرادها مرتبة عالية من العيش الكريم الجميل." (١)

**

وفي محور شعراء الأقطار العربية: عبد الرحيم محمود يقول:

"فتذكرتُ ما صنعه اليهود مع الفلسطينيين، الذين اغتصب الصهاينة بلادهم منهم بمساعدة الدول الغربية المجرمة كلها وأخرجوهم من ديارهم واستولوا على بيوتهم وحقولهم ومؤسساتهم ثم استداروا واتهموهم بالتخلف والإرهاب ودكوهم ونسفوا بيوتهم ونساءهم وأطفالهم بكل ألوان السلاح الفتاك المدمر. نفس الطينة! نفس العينة! نفس المنطق!" (٢)

**

١) من أدب الأقطار العربية، دراسة عن كتاب نور الأندلس لأمين الريحانى

٢) من أدب الأقطار العربية، سأحمل روحى على راحتى، عبد الرحيم محمود

وفي كتابه توما الاكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ذكر فلسطين بقضيتها ومعاناتها ونضالاتها فقال (وأن الأمم ستتداعى على المسلمين لنهشهم وهبرهم كما يتداعى الآكلون إلى الطعام وأنهم عندئذ لن تكون لهم قيمة، بل غثاء كغثاء السيل، وهو ما نمر به منذ قرون منذ صرنا نُستعمر وتُحتل بلادنا ونُقسم، وقد بلغ ذروته في قضية فلسطين التي تكاد أن تضيع منا كلها هذه الأيام إن لم يتدارك الله أهل فلسطين برحمته وكرمه) (١)

وتحدث عن بدايات النكبة، فقال: (إن هذا المسخ المسمى فيلسوفا هو نسخة سابقة للساسة الغربيين الذين امتلخوا فلسطين وأعطوها غنيمة لليهود الصهاينة، وكلما حاول أبطال فلسطين استرداد حقهم أو شيء منه اتهموهم بأنهم إرهابيون، وأنكروا مذابح التطهير العرقي الذي تمارسه إسرائيل في غزة بفضل أسلحتهم وأموالهم التي سرقوها أو أخذوها من العرب الأوساخ الأنذال عنوة وغطرسة وإجراما) (٢)

---

١) د. إبراهيم عوض، توما الأكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ص: ٦٧

٢) د. إبراهيم عوض، توما الأكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ص: ١٠٩

وعن حرب الإبادة في غزة، يقول: **(دون تدخل هؤلاء للدفاع عن المظلومين والمساكين، بل بالتعاون معهم على التنكيل بالمسلمين، ونحن منذ سنة ونصف نشاهد بعيوننا ونسمع بآذاننا ما تفعله صواريخ الدول النصرانية وقنابلها بالمنازل والمستشفيات والمدارس والمؤسسات وسكانها في فلسطين الحبيبة من خلال الصهاينة الأوباش، فنعرف أن تلك الدول تطبق أعظم تطبيق مبدأ الصفع على الخدين بدلا من خد واحد)** [1]

وعمن مغتصب أرضنا، قال: **(ونحن الآن نرى الصهاينة في فلسطين قد جعلوا دولتهم وقفا على اليهود ويعملون بكل وسيلة وسبيل على طرد الفلسطينيين منها بعدما سرقوها منهم بتخطيط ومعونة وحماية الغرب النصراني)** [2]

ويذكر أحداث غزة ومساندة اليمن لها، فقال متحدثا عن مسلمة امريكية التي فهمت بعد أن أسلمت معنى الآية ٥٦ من سورة النساء **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)**، فهمتها بعد أن

---

[1]) د. إبراهيم عوض، توما الأكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ص: ١١١

[2]) د. إبراهيم عوض، توما الأكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ص: ١٣١

أسلمت ورأت ما يحدث في فلسطين، فقال: (لكنها الآن بعدما رأت كيف تدمر إسرائيل وامريكا البيوت الفلسطينية فوق رؤوس أهلها وتقتل منهم الآلاف المؤلفة تستطيع أن ترى مدى عدل هذه العقوبة، إن الفلسطينيين يدافعون عن بلادهم وحقوقهم ضد إسرائيل وأمريكا، أما هاتان فظالمتان باطشتان) ([1])

ويضيف (هذا ولابد أن أذكر في هذا السياق أن الفظائع المروعة التي ينزلها الصهاينة والصليبيون الغربيون وزعيمتهم أمريكا على الفلسطينيين قد تسبب في انقشاع سواد الرؤية عن عيون كثير من الأمريكيين وقلوبهم، واعتنقوا الإسلام وانتعشت أرواحهم وتبين لهم أن ما كانوا فيه من تعصب على الفلسطينيين وانحياز للصهيونية إنما كان سببه التضليل المستمر في الإعلام الغربي لحجب الحقيقة عنهم ودفعهم دفعا إلى مؤازرة الظلم والظالمين) ([2])

**

[1]) د. إبراهيم عوض، توما الأكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ص: ٢٠٣

[2]) د. إبراهيم عوض، توما الأكويني وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام، ص: ٢٠٣

النافذة السابعة: مؤلفاته

حاولت التوثيق لجميع عناوين مؤلفات الدكتور إبراهيم؛ لكن لغزارتها، ووفرة عناوينها تهت وتاه مني الرصد، لذا أورد بعضا من عناوينه القيمة، وجميعها قيم ومغنم للمكتبات والقراء، لذا أوردها لأوجه عناية المهتمين لها.

من كتاباته:

المستشرقون والقرآن

الحضارة الإسلاميَّة - نصوص مِن القرآن والحديث ولمحات مِن التاريخ.

ثورة الإسلام - أستاذ جامعي يزعُم أنَّ محمدًا لم يكن إلا تاجرًا (ترجمة وتفنيد).

موقِف القُرآن الكريم والكتاب المقدَّس من العلم.

القُرآن والحديث - مقارنة أسلوبيَّة.

عِصمة القرآن الكريم وجَهالات المبشرين.

الفرقان الحق: فضيحة العصر.

السجع في القرآن (مترجَم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة).

تأملات في البيان القرآني: الجملة القرآنية

إعجاز قرآني علمي أم مجرد ملاحظات ساذجة يعرفها كل أحد ؟

هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون ؟

القرآن وأمية بن أبي الصلت .. أيهما أخذ من الآخر ؟!

وعمد الدكتور إبراهيم لتفسير عدد من سور القرآن الكريم ومنها سورة المائدة والنساء

كما كتب:

سورة طه - دِراسة لغويَّة وأسلوبيَّة مقارنة.

سورة الرحمن دراسة بلاغية وأسلوبية

سورة يوسف - دِراسة أسلوبية فنية مقارنة.

سورة المائدة - دِراسة أسلوبيَّة فِقهيَّة مقارنة.

فصول في ثقافة العرَب قبل الإسلام.

في التصوف والأدب الصوفي

في التصوُّف وأدَب المتصوِّفة.

علاقة الأدب بالدين والأخلاق

**

ويتصدى للمستشرقين، فكان مما كتب:

دائِرة المعارِف الإسلاميَّة الاستشراقيَّة - أضاليل وأباطيل.

المستشرقون والقرآن دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه.

مصدر القرآن - دِراسة لشبهات المستشرقين والمبشِّرين حولَ الوحي المحمدي.
مختارات إنجليزية استشراقيَّة عن الإسلام.
المستشرقون والقرآن(PDF)
المستشرقRegis Blachere وحديثه عن القرآن
المستشرق Clement Huart وحديثه عن القرآن
المستشرق "مونتيه" وحديثه عن المضمون القرآني
حديث المستشرق الفرنسي Barthelemy عن محمد والقرآن
المستشرق "مونتيه" وحديثه عن مصادر القرآن
حديث المستشرق الفرنسي Barthelemy عن محمد والقرآن
المستشرق " بلاشير " وحديثه عن القرآن
المستشرق " بلاشير " وحديثه عن القرآن
المستشرق " سافاري " وحديثه عن القرآن
بعدَ الحادي عشر مِن سبتمبر ٢٠٠١ – ماذا يقولون عن الإسلام؟ (نصوص وردود)
اليَسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة.

سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم

ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية

وليمة لأعشاب البحر" بيْن قِيم الإسلام وحريَّة الإبداع - قراءة نقديَّة.

النزعة النصرانية في قاموس المنجد

بين السيد المسيح والنبي محمد في القرآن والإنجيل (تعقيب على مقالة)

النساء في الإسلام .. نسخ التفسير البطرياركي للقرآن لأسما بارلس

الردّ على ضلالات زكريا بطرس - حقائق الإسلام الدامِغة وشبهات خصومه الفارِغة.

الإسلام الديمقراطي المدني - الشركاء والموارد والإستراتيجيات (ترجمة تقرير مؤسَّسة راند الأمريكيَّة لعام ٢٠٠٣م عنِ الإسلام والمسلمين في أرْجاء العالَم).

حدوتة الأنبا جرجي .. هكذا يحارب المدلسون الإسلام

افتراءات الكاتِبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين - دراسة نقدية لِرواية "العار"

أبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية- خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود علي مراد في الدِّفاع عن سيرة ابن إسحاق.

الترجمة من الإنجليزية منهج جديد

دِراسات دينيَّة مترَجمة عن الإنجليزيَّة.

**

ويشد مئزره مشرعا أسلحته للدفاع عن العربية الفصحى، فيكتب:

لتحيا اللغة العربية يعيش سيبويه.

لويس عوض- مقدمة في فقه اللغة العربية

دفاع عن النحو والفصحى (الدعوة العامية تطل برأسها من جديد)

ويكتب:

التعبير البارز (لام الابتداء)

صيغ المبالغة في الشعر

التعبير البارز (كل وحتى)

الكلمات النادرة

اللغة في الشعر

النابغة الجعدي وشعره

الشاعر النابغة الجعدي

حياة النابغة الجعدي وشخصيته

شعر النابغة الجعدي وموضوعاته

المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته.

لغة المتنبي - دِراسة تحليليَّة.

المتنبي بإزاء القرْن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام (مترجَم عن الفَرنسية مع تعليقات ودراسة)

التذوق الأدبي
التذوق الأدبي بين الشكل والمضمون
الأدب والفنون الأخرى

مناهج النقد الأدبي الحديث
مباحث ومشكلات في الأدب المقارن العربي
معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين: بحث موضوعي
أسواق العرب في الجاهلية
من أيام العرب في الجاهلية
الفن القصصي في العصر الجاهلي
القصة الشعرية في العصر الجاهلي
القصة في العصر الجاهلي
علوم العرب في الجاهلية
دراسة للخطب في الجاهلية حزءين
الأمثال في العصر الجاهلي
مكانة الشاعر في العصر الجاهلي

بداية الشعر الجاهلي
طه حسين وإنكار النثر الجاهلي
الأحلاف في الجاهلية
في الشِّعر الجاهلي - تحليل وتذوُّق.
عنترة بن شداد قضايا إنسانية وفنية

في الشعر الإسلامي والأموي
في الشعر العباسي تحليل وتذوق
في الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق
شُعراء عباسيُّون.
بشار بن بُرْد - الشخصية والفن.

فنون الأدب في لغة العرب
**
مفهوم الأدب المقارن
بحوث الأدب المقارن ومجالاته
في الأدب المقارن دراسة واجتهادات
محاضرات في الأدَب المقارن.

مقتل الأسود العنسي

فصول من النقد القصصي
نقد القصة في مصر
نقْد القِصَّة في مصر مِن بداياته حتى ١٩٨٠م.
مكونات العمل القصصي
الوصف في القصة
الخصائص التركيبية في القصة القصيرة
العرب القدامى والتقعيد لفن القصة
الموضوعات التي تناولتها القصة العربية القديمة
متى عرف الأدب العربي فن القصة؟
فن القصة بداية وتعريف

القصاص محمود طاهر لاشين - حياته وفنه.
أسلوب القاص محمود طاهر لاشين
الخصائص اللغوية للقصة عند محمود طاهر لاشين
حلمي القاعود روائيًا
كتاب ست روايات مثيرة للجدل
المعذبون في الأرض.

**

مِن ذخائر المكتبة العربية.

**

الخطابة الإسلامية وأنواعها

في الشِّعر الإسلامي والأُموي - تحليل وتذوُّق.

**

جمال الدِّين الأفغاني - مراسلات ووثائق لم تُنشرْ مِن قبل (مترجَم عن الفَرَنسيَّة.(

أصول الشِّعر العربي (مترجَم عن الإنجليزيَّة مع تعليقات ودراسة).

د. محمَّد حسين هيكل أديبًا وناقدًا ومفكِّرًا إسلاميًّا.

مع الجاحظ في رسالة "الرد على النصارى."

كاتب مِن جيل العمالقة: محمد لطفي جمعة - قراءة في فكره الإسلامي.

المرايا المشوِّهة - دراسة حول الشِّعر العربي في ضوء الاتجاهات النقديَّة الجديدة.

أُدباء سعوديُّون.

شعر عبدالله الفيصل - دراسة فنية تحليليَّة.

دِراسات في المسرَح.

د. محمد مندور بيْن أوهام الادِّعاء العريضة وحقائق الواقِع الصلبة.

مِن الطبري إلى سيِّد قطب - دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه.

محمَّد لطفي جمعة وجيمس جويس.

لكنَّ محمدًا لا بواكِيَ له - الرسول يُهان في مصر ونحن نائِمون!

كتاب لكن محمدا لا بواكي له - هتك الأستار عن خفايا كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الآمين

الرَّوض البهيج في دِراسة "لامية الخليج."

نظْرَة على فنِّ الكتابة عندَ العرب في القرن الثالث الهجري (مترجَم عن الفرنسية).

دِراسات في النَّثْر العربي الحديث.

" مدخل إلى الأدَب العربي" لهاملتون جب - قراءة نقدية (مع النص الإنجليزي).

مسير التفسير - الضوابط والمناهج والاتجاهات.

"تاريخ الأدَب العربي" للدكتور خورشيد أحمد فاروق: عرْض وتحليل ومناقَشة (مع النص الإنجليزي).

الأسلوب هو الرَّجل - شخصية زكي مبارك مِن خلال أسلوبه.

فصول في الأدَب المقارن والترجمة.

رِسالة ابن غرسية الشعوبيَّة والرسائل التي ردَّتْ عليها - دراسة مصمونية أسلوبية.

" الأدب العربي - نظرة عامة" لبيير كاكيا: عرْض ومناقشة (مع النص الإنجليزي)

مِن قضايا الدِّراسة الأدبيَّة المقارنة.

سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب: فصول مترجمة ومؤلفة

**

سلع الدكاكين في يوم البطالة – العقاد

عيش العصفور – العقاد

الشاعر الأعمى – العقاد

أندلسية – شوقي

التحسر على أيام الشباب – البارودي

أبو العلاء المعري يرثي صديقه أبا حمزة الفقيه

البحتري في وصف إيوان كسرى

ابن الرومي في رثاء ابنه محمد

أبو تمام في فتح عمورية

أبو نواس يمدح العباس حفيد المنصور

**

هذا غيض من فيض عطائه مما أثرى به المكتبات المحلية والعربية والعالمية

وكما قال الخليفة عمر بن الخطاب لأبي بكر الصديق: "**لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر**"

فإن الدكتور إبراهيم الذي أرى أنه يستحق دخول موسوعة عالمية بإنجازاته، فإنه أتعب من يحاولون الوصول لذلك.

**

أخيرا،،

الأستاذ الدكتور إبراهيم العلامة اللوذعي والمثقف الواعي بتعرجات الحرف، القادر على القراءة الفاحصة للإنسانية، وصاحب القدرة على تطبيقها ..

فسيرته زاخرة بالعطاء، مفعمة بالنشاط، لا يتوقف عن امتشاق قلمه، مستفزا فكره، مستنفرا حميته، فينبري مدافعا عن الدين ويتصدى لأعدائه

كما يدافع عن اللغة العربية مفحما مَنْ يحاولون النيل منها
فهو الأكثر وفاء وصدقا وإنسانية

لذا أقول

لم يقتصر الرزق يوما على المال فحسب،، فحُسن الخلق رزق، الوفاء والصدق رزق، والإنسانية والصداقة النظيفة رزق

قالوا الرزق مال

وقالوا الرزق عيال

قلت الرزق أشكال وألوان والرزق راحة بال

وممكن يكون الرزق بعض الاخوان

هذه كلمات كتبتها قبل أن أمضي، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله

وفي النهاية نبقى نحبك غزة بعقلك وجنونك، بكل ما فيك ومن فيك نحبك، فجمالك ودلالك يغمرنا.

**

فهرس المحتويات

٠		
	المحتويات	